الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم الانسانية

–شعبة التاريخ –

# الطرق الصوفية وتأثيرها على المجتمع الجزائري خلال عهد الدايات

# (1671- 1830م)

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب :

يوسف محمد

إشراف الدكتور: بوسليم صالح

المشرف المساعد: ملاخ عبد الجليل

اللجنة المناقشة:

أ.د/ إبراهيم بكير بحاز ..... رئيساً

د/ صالح بوسليم ..... مشرفاً ومقرراً

أ/ ملاخ عبد الجليل ..... مشرفاً مساعداً

أ/ بن قومار جلول ..... عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1433- 1434هـ /2012-2013

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله، اللهم صلي وسلم عليه ما ذكره الذاكرون، وصلى عليه المصلون، وعلى آله وصحبه وعلى من إتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً مباركاً فيه ملء السموات والأرض وما بينهما.

أتقدم بالشكر الخاص والجزيل أولاً لأستاذي المشرق الدكتور: "صالح بوساليم" على كل مجهوداته وتوجيهاته لي لإتمام هذا العمل طوال فترة البحث.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف المساعد: "ملاخ عبد الجليل" على متابعته للعمل وتوجيهاته.

وإلى كل أساتذتي بجامعة غرداية وأخص بالذكر: لخضر عواريب، إبراهيم سعيود، الطاهر بن علي، تكيالين محمد، أبو بكر محمد السعيد، جعفري أحمد، حوتية محمد، مديني بشير، قروي مصطفى.

# الإهـــــــداء

إلى بهاء الفجر الأبدي ...أبي الغالي: "الدين "

وإلى ميناء العشق الأزلي ...أمي الحبيبة: "مريم "

وإلى شموع الوفاء الدائمة ...إخوتي الأحبة: بومدين، محمود، يوسف، فاطمة، الزهرة، حورية، جهيدة، مفيدة.

وإلى زوجة أخي "نورة"

وإلى أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي كل واحد باسمه.

إلى من يقصر المجال لذكرهم ويفيض القلب بحبهم من أخوات وأصدقائي وزميلاتي، إلى رفقاء الدرب في الجامعة: دون استثناء.

إلى كل طلبة العلم وخاصة دفعة السنة الثانية ماستر تاريخ حديث ومعاصر.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى من ساهم في إنجاز هذا البحث خاصة: ابراهيم، محمود، حكيم، محمد عبد الرحمن.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

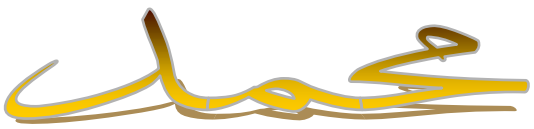

## قائمة المختصرات العربية

| المصطلح | المعنى |
|---|---|
| ط | طبعة |
| د.م. | دون مكان الطبع |
| د.ع | دون عدد |
| ج | جزء |
| ب.ت. | بدون تاريخ |
| ص | صفحة |
| تع | تعريب و تعليق |
| تح | تحقيق |
| تر | ترجمة |
| تق | تقديم |
| م.و.ج | ديوان المطبوعات الجامعية |
| ش.و.ن.ت | الشركة الوطنية للنشر والتوزيع |

## قائمة المختصرات الأجنبية :

| المعنى | المصطلح |
|---|---|
| **Numéro** | **N°** |
| **Page** | **P** |

# المقدمة

بسم الله الرحمان لرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه إلى يوم الدين أما بعد:

يحتل موضوع التصوف وتحديدا الطرق الصوفية، أهمية كبرى في تاريخ التيارات الفكرية، وهو من القضايا الشائكة والمعقدة في تاريخنا الثقافي والديني، وقد أسال الكثير من الحبر ولا يزال فالكثير من الباحثين لا زال يتردد بين الرفع من شأن الظاهرة الصوفية أو اللتقليل من أهميتها، لذلك تطور التصوف من ظاهرة أو مسألة فردية بين الإنسان وربه إلى ظاهرة اجتماعية كثر رجالها وأتباعهم حيث كثر عدد الأتباع والمريدين و التف المريدون حول شيخ الطريقة ونسجوا حوله هالة من التقديس و التبجيل والكرامات.

وعليه تناولت الظاهرة التصوف وتطورها في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني خاصة فترة حكم الدايات التي كثرة فيه الطرق الصوفية وتعددت.

منها ما هو قديم النشأة ومنها ما هو حديث، لدى قد تناولت هذا الموضوع من الجانب التأثر والتأثير بين أصحاب الطرق وأتباعهم في المجتمع الجزائري، فالموضوع الذي بين أيدينا هي محاولة الهدف منها معرفة العلاقة بين رجال التصوف والمجتمع الجزائري ومدى تأثير هذه الطرق فيه خصوصاً فترة هامة من الحكم التركي في الجزائر وهي فترة الدايات، إمعان النظر و إعمال الفكر في تلك الوقائع التاريخية، التي عرفتها بلادنا في تلك الفترة، لذا فقد كان عنوان دراستي على الشكل التالي :"الطرق الصوفية و تأثيرها على المجتمع الجزائري خلال عهد الدايات ( 1671م-1830م) لذلك حصرت هذه الدراسة في هذا الإطار الزماني نطرا لما احتواه من وقائع و أحداث بارزة و معلمية في التاريخ الصوفي في الجزائر، منها ظهور الطرق وانتشارها وتبنيها لحركة المقاومة ضد السياسة التعسفية للحكام، أيضا العلاقة القوية التي كانت بين هذه الطرق و المجتمع.

**أسباب اختيار الموضوع:**

لقد دفعني لخوض غمار هذه الدراسة جملة من الدوافع والأسباب يمكن حصرها في مايلي:

-أول الدوافع التي دفعتني لتناول هذا الموضوع هو جب المطالعة و ميلي وانجذابي لمثل هذه المواضيع.

-محاولة التحقيق في بعض النقاط التي أثيرت حولها إشكالات و تساؤلات من هنا وهناك حول الطرق الصوفية في الجزائر.

-معرفة مدى العلاقة القائمة بين رجال الصوفية و المجتمع الجزائري و ما مدى التأثر و التأثير وبين الطرفين خاصة انه فترة دراسة عرفت توافد كبير للمجتمع للدخول في هذه الطرق نظرا لما وجدوه فيها من عدل و إنصاف و خل للمشاكل بين بعضهم و بين الدايات ( الحكام)

**الهدف من الدراسة**

إن الهدف من هذه الدراسة هو معرفة الطرق الصوفية التي ظهرت خلال فترة الدراسة، وأهم المبادئ والتعاليم التي استمدها المجتمع الجزائري من هذه الطرق ثم معرفة جانب هام من تاريخنا الثقافي الديني، وتوضيح بعض الأمور خاصة منها العلاقة التي كانت قائمة بين رجال الدين والسلطة،كيف عملت السلطة لجلب هؤلاء والوقوف معهم في التصدي لمشاكل المجتمع حيث كانوا بمثابة الوسيط بين الحاكم والمحكوم، وتسليط الضوء على الصلة القوية لرجال الطرق الصوفية بالسكان، وكذا فهم سبب انضمام فئات واسعة من المجتمع االجزائري لهذه الطرق الصوفية، ومن الأهداف هو توفير مادة علمية أمام الباحثين والدارسين خصوصاً طلبة الدراسات العليا.

**الإطار الزماني و المكاني للدراسة:**

اخترت مرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر و هي المرحلة الأخيرة من حكم الدايات (1671–1830 م) لأنها شهدت عدة تطورات ومواقف أدت إلى بروز عدة ثورات شعبية بقيادة رجال الدين نظراً للسياسة التعسفية التي مارسها بعض الدايات على القبائل، ومنها انهاك هذه القبائل بالضرائب.

**الإشكاليات المطروحة حول الموضوع :**

ماهي الطرق الصوفية وكيف كان تأثير على المجتمع خلال عهد الدايات؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية إشكالات فرعية و هي كالأتي :

- ما هو التصوف و ماهي جذوره التاريخية ؟
- بما اتسمت الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في عهد الدايات؟
- ماهي أهم الطرق الصوفية التي كانت بارزة في الفترة المدروسة؟ .
- وكيف كان تأثيرها على المجتمع الجزائري؟.
- هل كانت الطرق الصوفية نعمة أم نقمة على المجتمع ؟

- كيف نظرت السلطة الحاكمة (الدايات) للرجال الطرق الصوفية وما هو موقفهم من السلطة الحاكمة ؟

هذه التساؤلات وغيرها شكلت في مجملها الإشكاليات التي تطرقت إليها في المتن.

**الدراسات السابقة للموضوع :**

لا شك أن هناك العديد من الدراسات و الأبحاث العلمية الهامة التي تناولت ظاهرة التصوف والصوفية خلال العهد العثماني والتي لا يمكن تجاوزها لذلك وجب الإشارة إلى بعض المصادر والمراجع الأجنبية ونذكر منها مؤلفات الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعدا لله فله الفضل في توفير المادة العلمية لهذا الموضوع من خلال كتابه: **"تاريخ الجزائر الثقافي"**، وكذا كتاب: **"المرآة"** لحمدان ابن عثمان خوجة وسعيدوني نصر الدين من خلال كتابه: **"دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"**، ومحمد بن بريكة في موسوعته حول" **الدراسات الصوفية والطريقة القادرية** " وعبد العزيز شهبي في كتابه: **"الزوايا و الصوفية والعزابة** " ، أيضا وأحمد مريوش من خلال كتابه **"الحياة الثقافية في الجزائر في العهد العثماني** "... الخ من المراجع والمصادر الأخرى

وعلى غرار ذلك اعتمدت على جملة من المقالات و الرسائل الجامعية التي تناولت الموضوع نذكر منها على سبيل الحصر منها عميراوي أحميدة: **"القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية"** مجلة المصادر أيضا العيد مسعود **"حركة التعليم عن الجزائر خلال العهد العثماني"** ... الخ لذا فبالرغم من الاهتمامات التي حظي بها الموضوع إلا أنه يبقى يثير الكثير من التساؤلات خاصة فيما يتعلق بالمجتمع الجزائري وبالطرق الصوفية.

**المنهج المتبع في الدراسة :**

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، لأنه مناسب لوصف الأحداث التاريخية من خلال وصف أحداث وقعت خلال الفترة، أيضا استعملت التحليلي في تحليل بعض الأحداث تحليلا موضوعيا بعيدا عن الذاتية.

**الخطة المعتمدة في الدراسة :**

احتوت خطة بحثي على مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاثة فصول وخاتمة.

فكان الفصل التمهيدي حول: أوضاع الجزائر خلال عهد الدايات وأيضا مفاهيم عامة حول التصوف والطريقة الصوفية فيه وفيه وضحت أوضاع الجزائر خاصة منها السياسية والإدارية، ثم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ثم عرفت التصوف والطريقة الصوفية أما الفصل الاول فخصصته لنشأة التصوف وظهوره بالجزائر، حيث تناولت في المبحث الأول: نشأة التصوف وتطوره في الجزائر أما المبحث الثاني: فكان حول مؤسسات التصوف بالجزائر، كالمساجد والزوايا ثم المدارس العلمية والمكتبات وأخيرا الأوقاف.أما الفصل الثاني: فخصص لأهم الطرق الصوفية التي عرفتها الجزائر خلال عهد الدايات، ففي المبحث الأول: تطرقت إلى الطريقة القادرية من حيث التأسيس والتعاليم ومبادئها وأخيرا ظهورها بالجزائر، أما المبحث الثاني: ضم الطريقة الشاذلية وفيها ترجمة لمؤسسيها وذكرت بعض تعاليمها ومبادئها وظهورها بالجزائر، وفي المبحث الثالث: فقد خصص للطريقة التجانية وفيها هي الأخرى التعريف بمؤسسها ، وتعاليمها ومبادئها وظهورها بالجزائر.

وأخيرا الفصل الثالث فكان حول تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال عهد الدايات تضمن هذا الفصل ثلاث مباحث في المبحث الأول تطرقت إلى التأثير السياسي لهذه الطرق وعلاقتها بالمجتمع الجزائري، تضمن علاقة الطرق بالمجتمع الجزائري الأصلي ثم علاقة الطرق بالأتراك ثم علاقة المجتمع الجزائري بالأتراك أما المبحث الثاني فكان حول موقف الطر ق الصوفية من الدايات وفيه تطرقت لأهم الثورات التي قامت منذ السلطة، أما المبحث الثاني فكان حول التأثير الاجتماعي وفيه التأثير إجاباً سلباً ، أما المبحث الثالث: فكان حول التأثير الديني والثقافي وفيه التأثير على المجتمع الجزائري ثم التأثير على الأتراك .

ثم ذيلت بحثي بخاتمة تضمنت استنتاجات عامة حول الموضوع ، ثم قائمة المصادر و المراجع والفهارس.

**نقد المصادر والمراجع:**

اعتمدت في دراستي هاته على جملة من المصادر والمراجع وفرت لي مادة علمية وتاريخية هامة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- حمدان بن عثمان خوجة من خلال كتابه: " المرآة" و تع ،تح ، العربي الزبيري الذي تحدث عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أواخر العهد العثماني.

- احمد التلمساني ابن هطال ، من خلال رحلة الياي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي
- "تاريخ الجزائر الثقافي" لمؤلفه أبو القاسم سعدالله، وقد استفدت من الجزء الأول و الرابع، عندما تحدث عن التصوف والمؤسسات الثقافية خلال الفترة العثمانية.
- مؤلفات سعيدوني نصر الدين، أفادتني في معرفة أوضاع الجزائر خلال عهد الدايات خاصة منها الاقتصادية.
- أحمد مريوش "الحياة الثقافية خلال العهد العثماني". أفادني هذا الكتاب في التعرف على الجانب الثقافي.
- صلاح مؤيد العقبى من خلال كتابه الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر ، أفادني في معرفة الطرق الصوفية وظهورها في الجزائر.
- يحي بوعزيز من خلال مؤلفاته ثورات القرنين 19 و 20 و موضوعات و قضايا و أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة أفادني في معرفة التصوف وظهوره في الجزائر.

كما اعتمدت على بعض المراجع الأجنبية

- - Xavier copplani le confreres religieuse ،Octave depont

اوكتاف ديبور كرافي كابولاني في كتابه العقيدة الصوفية الإسلامية

Saidouni Naser Edpuie l'algerais euole la fin de l'epapue attman(1791-1830)

سعدوني ناصر الدين" الجزائر الريفية في آخر مرحلة العثمانيين ( 1791-1830 م) " والذي أفادني في معرفة علاقة الطرق بالمجتمع الجزائري

Filali ، Kamel « saintété marabautique et mystcisme à l'étude du mouvement marabautique en algerie sous le domination Ottomane

فيلالي كمال، قداسة القبة والصوفية ، مدخل إلى دراسة حركة القباب في الجزائر تحت سيطرة العثمانيين أفادني في التعرف على علاقة الطرق الصوفية للمجتمع الجزائر

- محمد بن بريكة "في موسوعة الحبيب لدراسات الصوفية و موسوعة الطرق الصوفية"

تعرفت من خلال هذه الموسوعة في التعرف على الطرق الصوفية خاصة الطرق القادرية.

كما اعتمدت بعض المقالات والمواقع الإلكترونية ومنها نذكر:

مختار جبار: الحضور الصوفي في الجزائر على العهد العثماني الموقع الإلكتروني :

http :www .olohsho .com

عميراوي أحميدة" القادرية وموقعها من السياسة الفرنسية مجلة المصادر.

صالح نعمان: أصالة التصوف الإسلامي وأهميته في الحياة المعاصرة مجلة معهد أصول الدين.

ومثل أي باحث إعترضتنا عدة صعوبات منها:

- وقفت حالتي الصحية عائقاً في الإلمام بالموضوع.
- ضيق الوقت مما أحال دون الإحاطة بالموضوع، سعة الموضوع المدروس.
- صعوبة الاقتباس من الكتب الإلكترونية.
- تفرع وتشعب المادة العلمية أدى إلى صعوبة التنسيق و الاقتباس.
- صعوبة الترجمة من المراجع الأجنبية.
- والله أسأل أن يوفقني في إنجاز هذا العمل المتواضع.

# الفصل التمهيدي

# أوضاع الجزائر خلال عهد الدايات ومفاهيم حول التصوف

**المبحث الأول: الأوضاع العامة للجزائر خلال عهد الدايات**

**-الأوضاع السياسية والإدارية في الجزائر أواخر عهد الدايات.**

**-الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر عهد الدايات.**

**المبحث الثاني: مفاهيم عامة عن التصوف.**

**-مفهوم التصوف.**

**-مفهوم الطريقة الصوفية**

## المبحث الأول: ا الأوضاع العامة للجزائر خلال عهد الدايات .

### –الأوضاع السياسية والإدارية في الجزائر أواخر عهد الدايات.

دخل العثمانيين الجزائر بطلب من أهلها، سنة 1519م بسبب الخطر الإسباني الذي كان يهدد سواحل المغرب الإسلامي، وقد ربطو مصيرهم في الغالب بمصير أهل البلاد، والتحالف معهم، تحالفا سياسيا عسكريا، فامتلأت القلاع، والتكنات، والسفن بالجزائريين الذين خاضوا حروب الجهاد في البر والبحر،جنبا إلى جنب مع الأتراك، أحيانا كقادة، وأحيانا أخرى مقودين كما تحالفو معهم في الداخل لتوطيد الأمن والإستقرار.[1]

وإذا خرجت إحدى القبائل عن الطاعة وهددت الأمن العام، فإن القبائل الأخرى تنضم إلى الأتراك لمحاربتها، قلما يلجأ هؤلاء إلى قوتهم الحربية، وإنما كانوا يفضلون الإعتدال لبلوغ الأهداف التي وضعوها لأنفسهم، والدليل على ذلك أنهم عندما يخضعون قبيلة عدوة، ثم تستسلم تلك القبيلة، يستقبلونها بحفازة، ويعيدون إليها ما أخذ منها أثناء الحرب، وقد يعوضون لها الأشياء المتلفة، حتى يتمكنوا من أن يجلبوها إلى صفهم بعد الإنتصار عليها، لقد كانو يبرهنون لمثل هذه القبيلة على ثقتهم بها، ويدفعونها إلى أن تعيش هادئة، وهكذا عملت الدولة العثمانية على ثمتين علاقتها بالمجتمع الجزائري.[2]

لذا فقد شهدت الجزائر عدة تغيرات في نظام الحكم خلال فترات مختلفة منذ سنة 1518 إلى أخر مرحلة، والتي سميت بمرحلة حكم الدايات.

مع بداية سنة 1671م دخلت الجزائر مرحلة جديدة تميزت بتولي طائفة رياس البحر السلطة، وهم ضباط البحر الذين نصبوا نظاماً جديداً يتمثل في تعيين حاكم للبلاد يلقب بالداي. لذا فقد إلتزم الدايات بحفظ الإرتباط مع الدولة العثمانية باعتبارها خلافة إسلامية، لكنهم سلكو سياسة مستقلة فيما يتعلق بالشؤون الخاصة للبلاد، فالداي هو الذي:

- يعقد الإتفاقيات الدولية، ويستقبل البعثات الدبلوماسية (القناصل).
- يعلن الحرب، ويبرم معاهدات السلام، ويتلقى الضرائب، والأتاوات المختلفة من الدول الأوربية.

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، "**تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**"، دار البصائر،ط1، 2007 ، ج1، ص141.

[2] حمدان بن عثمان( خوجة)، "**المرآة**"، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1982، ص111.

لما إستقر نظام الدايات، تكون في مدينة الجزائر ديوان مستقل هو أشبه بمجلس الوزراء فهناك وكيل الخرج المختص بشؤون البحرية، والبيت المالي المختص بالشؤون المالية، ورئيس أمين مدينة الجزائر، وخوجة الخيل، المسؤول المباشر عن جمع الضرائب، والخزندار المسؤول عن خزينة الداي، والخزناجي المكلف بالخزينة العمومية.[1]

بفعل هذا التطور أصبح الداي المسؤول عن جهاز الحكم بالإيالة الجزائرية، والممثل الشرعي للسلطان العثماني بالجزائر، لذلك جمع الداي بين منصب الباي الشرقي، و وظيفة الداي العملية ويعتبر الداي رئيس الدولة وقائد للقوات النظامية الإنكشارية، وكانت مهامه تشمل الإشراف على إجتماعات الديوان، وشؤون الإدارة العامة، فهو الذي يعين البايات على رئاسة البايلك، ويعين الموظفين الرسميين بمختلف المناصب، بما في ذلك الحكومة المركزية.[2]

وقسمت الجزائر من الناحية الإدارية إلى أربعة أقاليم رئيسية هي:

1 دار السلطان: وكانت تضم مدينة الجزائر وضواحيها.

2 بايلك العرب: وعاصمتها مازونة ثم معسكر وأخيراً وهران بعد جلاء الإسبان عنها عام 1792م.

3 بايلك التيطري: وضم المناطق الوسطى ومناطق جنوب دار السلطان، كانت عاصمته المدية.

4 بايلك الشرق: ويقع شرقي دار السلطان وكان أكبر المقاطعات،كانت عاصمته قسنطينة، كانت هذه المقاطعات مقسمة إلى قيادات وعلى رأس كل منها شيخ قبيلة، وكان الجهاز الإداري جهازا لا مركزيا، حيث أن أية علاقة للحكومة برعايتها كانت علاقة غير مباشرة تعتمد على استعمال الزعماء المحليين لجمع الضرائب.[3]

## -الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية للجزائر أواخر عهد الدايات.

عند راسة أوضاع الإقتصاد والحياة الإجتماعية للجزائر خلال حكم الدايات، يلاحظ الطابع الزراعي والرعوي، الذي تمركز أساساً في الأرياف، وأطراف المدن، هذا في حين أن الحواضر تكاد تنفرد بالنشاط الحرفي من نشاط حرفي متواضع، يهدف إلى تلبية الضرورات المترلية

---

[1] قيرة إسماعيل وآخرون، "**مستقبل الديمقراطية في الجزائر**"، مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت، يناير 2002، ص53.

[2] وليام( سبنسر)، "**الجزائر في عهد رياس البحر**"، تر،عبد القادر زبادية، ش و ن ت، ط1، الجزائر، 1980، ص77.

[3] قيرة إسماعيل وآخرون، مرجع السابق، ص53.

ويقوم على الإكتفاء الذاتي في الأرياف، وإلى جانب ذلك لعبت التجارة الخارجية والداخلية دوراً مهما داخل البيئة الإقتصادية للمجتمع الجزائري عموماً، والبيئة الحضرية بشكل خاص.[1]

إن وضعية الأراضي الزراعية في الجزائر خلال هذه الفترة أصبحت تتصف بمظاهر الصراع الخفي والإحتكاك بين أسلوبين من الإنتاج ونمطين من المعيشة مختلفين، أحدهما يرتكز على الإرتباط بالارض وحيازتها، والآخر يمتهن الرعي والعزوف عن خدمة الأرض.

والجدير بالملاحظة أن العثمانيين قد عملوا جاهدين على الإحتفاظ بالأوضاع السائدة وبقوا في غالب الأحيان ملاك الأراضي، وأقروا العشائر المتعاملة معهم على الأرض التي استحوذوا عليها، بغية الحصول على تأييد شيوخ القبائل، ومساندة رؤساء الزوايا لهم، و لم يهتموا بصفة خاصة إلا بما تذره الأرض من إنتاج، وما توفره من جبايات.[2]

إن التطور الذي إنتهت إليه وضعية الأرض من ناحية الإنتاج لم يكن نتيجة لسياسة معينة من طرف الحكام العثمانيين، وإنما كان نتيجة تحول بطيء فرضته الأحوال الإقتصادية، وساهمت فيه الأوضاع الإجتماعية، وتسببت فيه حاجة الحكام إلى موارد للبلاد إثر تزايد الضغط الأوروبي على السواحل، وإنفتاح البلاد على التجارة الأوروبية، لذا فقد نتج عن كثرة المطالب المالية، وقلة الجبايات على الأراضي الزراعية، وتعدد المغارم، إهمال الزراعة، وتحول قسم من السكان من الإشتغال بالفلاحة إلى مزاولة حرفة الرعي، وفي بعض الأحيان إضطر المزارعون إلى الثورة على الحكام، وقد انعكس هذا الوضع على الحياة السياسية، إذ أن تحول السلطة إلى الدايات أدى إلى تضرر الزراعة وتحول كثير من الأراضي المنتجة للحبوب إلى ملكيات للبايلك، أو مزارع مشاعة بين أفراد القبائل الحليفة"قبائل المخزن"، التي كانت مهمتها جمع الضرائب، أو العشائر الخاضعة "قبائل الرعية"، بعد أن إنقطع سيل الهجرة الأندلسية.[3]

---

[1] نور الدين( زمام) ، "**السلطة الحاكمة والخيارات التنموية بالمجتمع الجزائري 1962-1958**"، دار الكتاب، ط1، دون مكان الطبع، 2002، ص16.

[2] نصر الدين( سعيدوني) ، "**دراسات في الملكية العقارية**"،م و ك، الجزائر 1984، ص 27، 28.

[3] المرجع نفسه، ص32.

أمّا عن الحياة الإجتماعية، فقد كانت تشكل الجزائر طبقات مختلفة سكانها الأصليين، وجزء كبير من سكان مدينة الجزائر مكون من العرب، والأتراك، والكراغلة المولودون من أب تركي وأم جزائرية.[1]

لذا فقد كان النشاط الحرفي يشهد تمايزا إجتماعياً، يستند في أغلبه إلى العامل الحرفي، فكل حرفة كانت خاضعة لجماعة عرقية، كما كان لكل حرفة أمينها، فيهود الجزائر وقسنطينة، مثلا كانوا يحتكرون الصناعات الخاصة بالمعادن الثمينة في الوقت الذي كانت فيه السلطة تحتكر بعض البضائع والمشاغل، وكانت عملية الإحتكار التي تمارسها السلطة العثمانية عاملاً في إعاقة ومنع تطور الحرفيين الأثرياء إلى شكل صناعي أكثر تطوراً.[2]

شهدت الجزائر العثمانية تقهقراً إقتصادياً وإضمحلالاً إجتماعياً واكبه سوء الأحوال الصحية، وإنكماش عمراني طيلة النصف الثاني من القرن 17م، والنصف الأول من القرن 18م، بعد ذلك ساءت الأوضاع الإقتصادية، وأقفرت الأرياف والمدن من سكانها، وتكاثرت الأمراض والأوبئة الفتاكة، مما أثر سلبا على حالة السكان الصحية، والمعاشية، وترك أثار سيئة على أوضاعهم الإجتماعية.[3]

إبتداء من أواخر القرن الثامن عشر ( 18م) تضاءل عدد سكان المدن، وتناقص سكان الأرياف، مما تسبب في ضعف قوة الأوجاق، أدى هذا الوضع إلى تناقص عدد التجار، وإفتقار الأرياف إلى اليد العاملة الزراعية، والظاهر هو أن ذلك التدهور يرجع إلى إنتقال العدوى وإنتشار الأمراض من الأقطار المجاورة، بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقتها التجارية مع أوربا، وإرتباطها الروحي بالمشرق الإسلامي أيضا، مما ساعد إنتشار الأمراض كثرة المستنقعات بالسهول الساحلية وحول المدن، كذلك نستنتج أن الأدوية والعقاقير المحضرة كانت غير متوفرة ونادرة.[4]

---

[1] حمدان بن عثمان( خوجة)، مصدر السابق،ص102.

[2] نور الدين( زمام) ، مرجع سابق، ص25.

[3] نصرالدين،( **سعيدوني) دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة** المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1988م، ج2، ص 123.

[4] المرجع نفسه، ص124.

مس وباء الطاعون وهو أخطر مرض عانت منه كل فئات المجتمع الجزائري، كما تعرضت إلى ضرباته الحادة كل العناصر الأجنبية المقيمة بالبلاد، لقد تكرر ظهوره في شكل تواتر حلقات متعاقبة مع الأوبئة المستوطنة بالمنطقة، تسبب في إنهيار ديمغرافي، وأدت إلى تدهور الوضع الصحي وإرتبط بعوامل أخرى مثل: الإضطرابات الجوية والتدبدبات المناخية، وفترات الجفاف، والفياضانات، بالإضافة إلى إجتياح الجراد وما نتج عنه من الزلازل والحرائق، وما ترتب عنها من تخريب وتدمير.[1]

ما يمكن ملاحظته أن الأوبئة كانت تتكرر كل عشرة أعوام، أو خمسة عشر عاماً، وأنها في بعض الأحيان استمرت لبضع سنوات، كما حدث خلال أعوام 1784، 1798م، كما في القرن 18م، فقد ظهرت أوبئة طيلة السنوات الثالية: 1728، 1700، 1798، 1797، 1794، 1793، 1786، 1785، 1784، 1749، 1744، 1740، 1738، 1720.

كما أشتدت حدة الأمراض وعمت جميع أرجاء البلاد من 1804-1808م، ومن 1818 إلى 1822، وكان طاعون 1740م، دام ثلاث سنوات وقضى خلالها على 10000 نسمة، وكان يهلك في الشهر الأول ما بين 300 و400 نسمة في اليوم، كما أدى وباء 1786-1787 إلى هلاك 16721 نسمة بمدينة الجزائر، أمّا وباء 1792 فإنه أضر بجميع الجهات لاسيما وهران والجزائر وقسنطينة، وفي سنة 1817-1818 إنتشر وباء في الجزائر وقضى على أكثر من 14000 نسمة.[2]

كما تعرضت الجزائر خلال عهد الدايات إلى آفات أخرى مثل: الزلازل، وأيضا غزو الجراد، وإنتشار الجفاف، مما أضر أيما ضرر بالجزائر إجتماعياً، وصحياً، وإقتصادياً، وتسبب في إختفاء الأقوات، وهلاك كثير من السكان، أمّا سنوات زحف الجراد فمن أكثرها ضرر خلال أعزام: 1710، 1716، 1724، 1725، 1760، 1778، 1779، 1780، أمّا سنوات الجفاف فكانت من الفترة الممتدة: 1734 إلى 1737، ومن عام 1778 إلى 1779م، وكذلك سنة 1800، وأعوام 1807، 1816، 1819.[3]

---

[1] موساوي فلة( القشاعي)، **وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق إنتقاله**، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، عدد1، 2001، ص134.

[2] نصر الدين(سعيدوني)، دراسات وأبحاث مرجع سابق، ج2،ص126، 127.

[3] المرجع نفسه،ج2، ص132.

أمّا عن الاوضاع الثقافية خلال عهد الدايات فقد انحصر دور التعليم في الجزائر على الزوايا والمساجد، فكانت العناية واضحة بها في المجتمع الجزائري، فلم تكن تجد حيا في المدينة إلا وله مسجد خاص به، وكان ملتقى العبادة، ومكان إجتماع أعيان المدينة، ومحور نشاط الحياة العلمية والإجتماعية، وكان يمثل روح الحي في المدينة، وحوله كانت تنتشر السكنات والأسواق والكتاتيب، وكان أعيان الأحياء في المدن يساهمون لبناء المساجد، لأن الدولة لم تكن تتحمل مسؤولية ذلك. [1]

لذا نجد أن الحكام العثمانيين لم يهتمو بالثقافة والتعليم، فكانت المدارس قليلة لغاية تركزت بالزوايا والمساجد والكتاتيب، وقد نتج عن سياسة الجمود والعزلة التي إتبعها العثمانيون، إذ إنعدم الإبتكار في التأليف، وأهملت دراسة العلوم العصرية، كالكيمياء والرياضيات والطب، وكانت علوم الدين وعلم اللغة هي السائدة.[2]

[1] أبو القاسم (سعد الله)،مرجع سابق، ج1، ص223.

[2] إسماعيل حلمي(محروس) ، **تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص39.

## المبحث الثاني: مفاهيم عامة عن التصوف.

### – مفهوم التصوف

إن اول من إستعمل لفظة صوفي هو الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، حيث قال: "الصوفية من النساك"، كما قال محمد بن القاسم: "لقب بالصوفي لأنه كان يلبس الصوف الأبيض، كان عالما فقيهاً، زاهداً، حسن المذهب، يقول بالعدل والتوحيد".

أمّا عن أول من أطلق عليه كلمة صوفي هو أبو هاشم الكوفي، الذي عاش في نكبة الرملة بفلسطين.[1]

لكن هناك من يرى أن لفظ الصوفي ورد لقبا مفرداً في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، إذ لقب به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء، شيعي من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص، أمّا صيغة الجمع الصوفية فظهرت في خبر فتنة قامت بالإسكندرية عام 199هـ/814م[2]، أي أن بذور التصوف الإسلامي ظهرت في بداية القرن الثاني هجري، متمثلة في هيئة زهد، نتيجة ما حدث في العالم الإسلامي من ترف وملذات، ثم تطور في القرنين الثالث والرابع، وشاع مصطلح التصوف وتداوله كثير من العلماء والفقهاء والمتصوفة.[3]

لكن الإختلاف البارز هنا هو حول أصل كلمة تصوف وصوفي لذلك كثرت الآراء في نسبة كلمة التصوف، فهناك من ذهب إلى نسبتها إلى رجل زاهد متعبد في الجاهلية كان يلقب بـــ: صوفة وإسمه الغوث بن بركان، وفي رواية أخرى الغوث بن مرء، كما قيل أن قوما في الجاهلية سموا بهذا الإسم، وكانوا يعبدون الله في الكعبة، ومن تشبه بهم سمي صوفي، ويعتبر هذا دليلاً على النسك الذي كان مذهباً معروفاً بالجاهلية، ومنهم نشأت طبقة المتحنفين مثل ورقة بن نوفل.[4]

وقيل أن الكلمة منسوبة إلى الصُفَةَّ، وهي مكان بمسجد الرسول ﷺ كان يقيم فيه طائفة من الزهاد والفقراء يسمون أهل الصفة، لكن هناك من قال أنها نسبة إلى الصِفَة، لأن الصوفية يبحثون

---

(1) أحمد (الشرباطي)، **الغزالي والتصوف الإسلامي**، دار الهلال، (د. ط)، (د. ت) ، ص147.

(2) محمد (فرغلي)، **محاضرات في التصوف**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1975، ص7.

(3) فاطمة (داود)، **التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله**، مقال لمجلة حوليات التراث، ع1، مستغانم، 2004، ص60.

(4) المرجع نفسه، ص60.

عن صفات الله تعالى، ويتذكرونها، أو لأنهم يحاولون تحقيق صفات الخير في نفوسهم.[1]

من ناحية أخرى هناك من يرى أن التصوف مشتق من الصفاء لما يؤدي من صفاء النفس وطهرها من كدر المحسوسات، وبذلك يؤهلها للنقاء والرقي في طريق الأحوال والمقامات.[2]

هناك عدّة تعريفات للتصوف نذكر منها الأهم:

التصوف بإختصار: هو ما أسماه الشرع بـــ(الإحسان)، وهو: أن تعبد الله تعالى كأنك تراه، ومعلوم أن هذا التحقق لم يتم للمرء حتى يجاهد نفسه في سبيل الله، كما قال اللته تعالى: ﴿والذين جاهدو فينا لنهدينهم سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:90]

والتصوف ليس فرقة أو مذهبا، وإنما هو ركن الدين الثالث، فديننا قائم على الإيمان والإسلام والإحسان، وقد تعددت التعاريف في تعرف التصوف ومفهومه، نورد بعضا منها:

**لفظ**: صوف مشتق من إسمي صوفي، وهي مشتقة من الصفاء.[3]

كما يذهب بعض المستشرقين أن كلمة صوفي مأخوذة من 'صوفيا) اليونانية، بمعنى الحكمة، وعندما فلسفة العرب عبادتهم، وترجموا كتبهم حرفوا الكلمة وأطلقوها على رجال التعبد، والفلسفة الروحية، أو مأخوذة من (ثيو موفيا)، بمعنى الإشراف أو محب الحكمة الإلهية، ووافق هذا الرأي بعض المستشرقين، ويرد الإمام القشيري على ذلك بقوله: «إنه ليس يشهد لهذا الإسم "صوفي" من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، ألا ظهر فيه أنه كاللقب».[4]

أمّا عن مفهوم التصوف **لغة**: فقيا أنه من الصوفية، لأن الصوفي مع الله تعالى، كالصوفة المطروحة لاستسلامه لله تعالى، أو أنه من الصوف، لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف الخشن للتقشف.

أنه من الصفة، إذ أن التصوف هو إتصاف بمحاسن الأخلاف والصفات، وترك المذموم منها.[5]

**أما إصطلاحاً**: إن التصوف علم أخروي من حيث أنه يحاول إخراج العبادات والمعاملات من حدود الفقه الجامد وإعطائها مفهومات جديدة، ترتكز على الباطن (الوجدان) دون إغفال للظاهر

---

[1] أحمد (الشرياطي)، المرجع نفسه، ص147.

[2] محمد الصالح (رزايقة)، **أضواء على تاريخ سيدي عبد الشريف**، دار هومة، ع1، دون مكان الطبع، 2006،ص22.

[3] عبد القادر (عيسى)، **حقائق عن التصوف**، المقطم للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005، ص25.

[4] عبد الرحمن (إبن خلدون)، **المقدمة**، دار الفكر، ط1، بيروت، 2004، ص504.

[5] أبو العباس (الفاسي)، **قواعد التصوف**، تح، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمة، ط1، بيروت، 2003، ص24

في الدين ليرتقي بالإنسان إلى درجة القرب من الله تعالى والفوز بمعيته والتمتع بالنظر إليه في جنة الخلد في الآخرة، فعرف بعلم الباطن، وهو كذلك علم أخلاقي من حيث أنه يرتبط بالمجاهدة والأحوال والمقامات، وتربية نفس الإنسان من حيث الذوق والوجدان والقلب والروح، ومنها إلى سائر الأعضاء، لذلك عده بعض الباحثين (علم النفس الإسلامي).[1]

أما مفهوم التصوف عند ابن خلدون إذ قال عن التصوف أنه العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيها، مما يقبل عليه الجمهور، من لذة ومال وجاه، والإنفراد على الخلق والعبادة في خلوة، وكان ذلك معروفاً في الصاحبة والسلف حسب رأيه، ولما أقبل الناس على الترف في الدنيا إختص الذين تمسكو بالعبادة بإسم الصوفية، فالتصرف عند ابن خلدون عبادة ومعاهدة للنفس، ومحاولة للإدراك الحقيقة، وذلك من خلال محاسبة النفس على الأفعال والتروك، كما أن الغاية التي يرجو المتصوف بلوغها هي التوحيد والمعرفة.[2]

أما رجال الطرق أنفسهم فيختلفون حول تعريف التصوف، وذلك حسب الوسائل التي يستعملونها للوصول إلى هدفهم، إذ يرى البعض أن ممارسة التطهر والقيام بالواجبات الشرعية على أتم وجه، والتحلي بالأخلاق والفضائل، وتجنب الشبهات والأخطاء هي التي توصل إلى الحقيقة أما البعض الآخر فالوسائل التي يعتمد عليها هي الوصول إلى الإلهام والكشف والرؤى والسرحان في عالم الأسرار الغامضة والنتيجة واحدة تقريبا، هي التنامي والتطهر للوصول إلى الدرجة العليا من القرب إلى الله عز وجل ونيل رضاه.[3]

من هنا يظل الجدل واضح وقائما حول تعريف واضح المعالم، ويمكن من خلاله تحديد جوانب وتغطية جميع مجالات التصوف، إذ أن المتفحص لكتب التصوف، والمطيل في النظر بها يجد أنه أمام المئات من تعريفات التصوف، وكل تعريف ينحوالى منحى خاص لا علاقة له بسابقيه أي أنه لا يوجد لمعنى عام منها مشتركا فيها إشتراكا يجمع خصائصها ويوجد حقيقتها.[4]

---

[1] أنظر: صالح( نعمان)، **أصالة التصوف الإسلامي وأهميته في الحياة المعاصرة**، مجلة معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الاولى، العدد الأول، ديسمبر 1998م، ص121،122.

[2] أبو القاسم (سعد الله)،مرجع سابق، ج4، ص8، 9

[3] المرجع نفسه،ج4، ص9.

[4] محمد (فرغلي)، مرجع سابق، ص6.

كما نجد أن هناك تفصيلا وتوسعا أخر في تعريفات التصوف، وهو ذلك إلذي يهتم بمعاينة الجزئية، أي الأخلاق الصوفية، أو ببعض ما ينبغي لهم من إستقامة وسلوك، وفي هذا المجال نجد فيضا من التعريفات منسوبة إلى قائليها:

- محمد بن علي القصاب: "التصوف أخلاق كريمة، ظهرت في زمان كريم، من رجل كريم، من قوم كرام".
- أبو محمد الحريري: "التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني".
- عمرو بن عثمان المكي: "التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في الوقت"[1]
- أما الجنيد بن محمد فقد كام جوابه عن التصوف: "تصفية القلب من مواقفه البربرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجابنة الدواعي النفسية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقة، وإستعمال ماهو أولى على الأبدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة وإتباع رسول الله في الشريعة.[2]
- وقال أيضا: "التصوف هو أن يميتك الله عنك، ويحييك به وتكون مع الله بلا علاقة".[3]

ومن هنا يمكن القول إن التصوف إتجاه جديد يعبر عن العاطفة الدينية في صفائها ونقائها وهو الجانب الروحي الذي يعتمد على منطق الرؤيا والإشراف والمحبة، ويكشف فيه الإنسان البعد المتعالي ليتحول إلى إنسان كامل فهو يحاول الكشف عن حكمة الله في الحياة وتمتع القلب والروح بلذة المشاهد، وقد تطور التصوف، إذ كان في البداية زهداً ليصبح بالشكل المتعارف عليه اليوم من كثرة الإصطلاحات فيه، والمذاهب والتغيرات التي أدخلت عليه من حيث ترتيب المقامات والأحوال ونظام السلوك والأداب.[4]

## 1 -ظهوره في الإسلام:

لقد ظهر التصوف في العالم الإسلامي كمنحى فكري نظري منذ القرن 3هـ/9م، وذلك في عاصمة الخلافة العباسية بغداد، بعدما ركن الناس لحياة الدعة... والملذات، على أيدي رجال

---

[1] أحمد الشرباطي، المرجع السابق/ ص151.

[2] أبو بكر محمد الكلابادي، **التعرف بالمذهب أهل التصوف**، تح: محمد أمين السوادي، مكتبة الأزهرية، ط2، القاهرة، 1980، ص34، 35.

[3] المصدر نفسه،ص151.

[4] فاطمة( داود)، مرجع سابق، ص 60، 61.

شهد لهم الأعداء قبل الأصدقاء بالعلم والفضل والصلاح، وأرسلو قواعد هذا التيار الحديث النشأة، ورسموا له الأسس المنهجية التي بني عليها، ولا تزال إلى الآن المصادر الأساسية لهذا العلم فقد نظم الصوفية أنفسهم طوائف وطرقا يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق طائفة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد يوجههم ويبصرهم على الوجه الذي يحقق لهم كمال العلم وكمال العمل، كما نجد ذلك في بغداد في العصر العباسي الأول عند فرقة "السقطية" نسبة إلى السري السقطي "والطيفورية" نسبة إلى أبي زيد طيفور، و"الخرازية" نسبة إلى أبي سعيد الخراز، و"المحاسبية" نسبة أي الحارث المحاسبي، فالتنقل بذلك التصوف وتطور وتطور من ظاهرة أو مسألة فردية بين الإنسان وربه إلى ظاهرة إجتماعية طرقية كثر أتباعها ومريدوها، ومع تطور التصوف العملي وإنتشار الظاهرة الصوفية لدى الأوساط الشعبية، زاد عدد الأتباع المريدين، ولثف المريدون حول الشيخ ونسجوا حوله هالة من التقديس والتبجيل حتى ظهرت الطرق الصوفية شكلها المتعارف عليه الآن.[1]

وترجع أسباب نشئته في العصر العباسي لإتساع الفتوحات وركون المسلمين إلى حياة الترف والبدخ، ومما ولد نفوراً من تلك الحياة المادية والإتجاه نحو الزهد والإنقطاع للعبادة، أيضاً إمتزاج المسلمين بأجناس ممن أسلم من البلاد الشرقية، وهم أناس حديثوا العهد بالإسلام، مع ما يحملونه من رواسب حضارية هندية وفارسية، زد على ذلك الإستبداد السياسي، وعجز الكثيرين عن التصدي له، مما دفع البعض إلى مؤاثرة السلامة باللجوء إلى العزلة والإنزواء، والتفرغ لإصلاح النفس وهجرة المجتمع، والتركيز على التأمل والملاحظة. [2] إذن فالتفكير الصوفي يجد أسسه في عقائد واردة من اليونان والهند أساس لها فلسفة في الحياة تقوم على قهر النفس وكبتها وتحقير الدنيا وذمها والزهد فيها، وعليه فالتصوف سلوك في الحياة ذو مضامين فكرية تقلب الجانب الروحي على الجانب المادي ظهر في المشرق الإسلامي في المئة الأولى والثانية للهجرة، أي أنه محدث في الأمة الإسلامية إسما ومعنى، كما قال ابن خلدون: "فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا إختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة".[3]

---

(1) محمد (بن بريكة)، **موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية**، دار المتون، الجزائر، ط1، 2007، ص293.

(2) أبو يعلي (الزواوي)، **التصوف**، مجلة البصائر ، 14فيفري، 1936، ع7، ص4.

(3) التليلي (العجيلي)، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية** ، منشورات كلية الآداب،منوبة، 1992 ص25.

كان التصوف الإسلامي في بدئه مقصورة على الحياة الزهدية، القائمة على الإعتزال والتأمل ثم أصبح في القرن الثاني للهجرة وبعد حركة تجمع معتقدات من مصادر أشياء نصرانية وأفلاطونية وبودية... تندرج من مذاهب السلوك إلى منصب الإتصال بالله وشمول الألوهية، فأصبح بذلك مذهبا قائما على أركان مدعمة بنصوص مؤولة من القرآن والسنة يسمى علم الباطن [1]، الذي جوهره حب الله، وقد تم هذا الإنتقال بتأثره بالأفكار الهيلينية، وكان زعيمه مذهب الإتصال بالله ذو النون المصري، وقد تم الإنتقال من مذهب الإتصال بالله إلى القول بشمول الآلوهية بفعل تأثير الفكر الهندي الإيراني، الذي لقي مناهضة شديدة أدت إلى جلد الحلاج سنة 922هـ وتعليقه على خشبة ثم ضرب عنقه وإحراقه بسبب قوله: "أنا الحق"، وذلك لأن مذهبه الحلول كان منافيا للدين ومبتدعا.[2] وقد ظل التصوف خلال القرون الخمسة الأولى في شكل حلقات لم يكن لها سوى نفوذ محلي مؤقت، ومع نهاية القرن 12 للميلاد أخذت الهيئات الصوفية المنظمة في الظهور وأول طريقة صوفية هي الطريقة القادرية في بغداد، التي إنتشرت في جميع أنحاء العالم، ثم الطريقة الرفاعية والمولوية.[3]

وما يمكن قوله حول التطور الذي عرفه التصوف هو المؤشرات الأجنبية دور كبير في ذلك، بداية من لبس الصوف واتخاذ فكرة العزوية أو التبتل المأخوذة عن النصارى، وكذا نظام الطريقة الذي فيه الشيخ والمريد الذي يقابله الكاهن والمبتدئ في الرهبنة وفي التأملات الفردية والتنبه الطويل والإنصراف إلى الخلوات شيء من تأثير الصوامع السريالية، كذلك حلقات الذكرى التي هي عن أصل مسيحي، كما تم إدخال أمور أخرى كإستعمال السبحة وهي هندية الأصل.[4]

وفي المئة الثالثة للهجرة أخذ البعض بدون أقوال أولائك المشائخ ويسجل مناقبهم، ويعدد كرامتهم، مما مهد لتدوين علم التصوف، فظهرت العديد من المصنفات ككتاب القمع للسراج الطوسي، والطبقات الكبرى للشعراني، والرسالة للقشري.[5]

---

[1] التليلي(العجيلي)، مرجع سابق، ص27.

[2] فليب (حقي وآخرون)، **تاريخ العرب**، دار الكشاف للنشر والطباعة، ، ط2،(د،م) 1965، ج2، ص524، 525.

[3] المرجع نفسه، ص526.

[4] المرجع نفسه، ص 527،528.

[5] هشام (خالدي)، "**التصوف ومنزلته من الفكر الإسلامي قراءة في مذاهب الصوفية**"، حوليات التراث، مستغانم 2004، ج1،ص 69- 71.

أمّا عن المميزات التصوف ومؤسساته وحب الحديث أولا عن أهم المميزات لذا فيعرف الشيء بما يميزه من خصائص وأسس فريدة خاصة به وكما سبق الذكر فإن التصوف لم يبين أن أصبح متمثل في جماعات تربط بينهما علاقة وطيدة تنظم الحياة بين مختلف الأطراف المكونة لها، وفق خصائص تميزها عن بقية التجمعات البشرية الأخرى تتمثل في:

**أ -ولاية الشيخ:**

ويزكي هذا المنصب الشيخ الذي يحتل منزلة مهمة في التفكير الصوفي ومكانة مرموقة لدى الأتباع والذي يستمد نفوذه من عمله ومعرفته بالله والبركة التي أصبح مالكها، إذ على السالك تزكية نفسه وتطهيرها بإتباع وسائل معينة كالأوراد، الأذكار، التسبيح تحت نظر الشيخ الذي هو قدوة المريد ومرشده في كل مرحلة ترقيته إلى مراتب ومقامات.[1]

وبهذا الهالة القدسية التي أضافها المشائخ على انفسهم أصبحت لهم سلطة ونفوذ على الناس الذين إعتقدو فيهم الصلاح والتميز بخصوصيات روحية ليست موجودة عند غيرهم، وهذا وقد عمد بعض مشائخ الصوفية إلى بسط نفوذهم عن طريق وسائل الترهيب وتهديد الناس في صحة أبدانهم أوضدد عائلاتهم وثرواتهم، كعقم النساء وإتلاف المحاصيل، مما يجبر السدج والبسطاء على الإنصياع لهم خوفاً من بطشهم.[2]

**ب -طاعة المريد:**

المريدين هم أتباع الشيخ، إذ تعتبر علاقة المريد بشيخه وطاعته له أهم ركن، وهي تقوم على إجلال الشيخ وتقديسه والمبالغة في محبته، وطاعته المطلقة بإعتباره أعرف الناس وأعلمهم بسواء السبيل، لذلك كان على المريد أن يتمسك بشيخه وتصديقه الكامل فيما يصدر عنه.[3]

وبذلك تمكن المشائخ من الإستحواذ الكامل على شخصيى المريد الذي لا يستطيع أن يتحرك ولا أن يتكلم وهو بين يديه، ولا أن يدخل أو يخرج ولا يخالط أحداً، ولا أن يشغل بعلم ولا قرآن، ولا ذكر إلا بإذنه فأصبح بذلك رهين أوامر الشيخ، لا يرفض له قولا ولا يعترض له على أمر وزادت سيطرتهم عليهم إلى حد حملهم على ملازمتهم في حلقات الذكر.[4]

---

[1] التليلي (العجيلي)، مرجع سابق، ص30.

[2] أبو يعلي (الزواوي)، مرجع سابق، ص04.

[3] التليلي (العجيلي)، مرجع سابق، ص31.

[4] المرجع نفسه، ص31.

لذا فمن خلال ما قيل نلاحظ أن لشيخ سلطة كبيرة في توجه المريد وإتباع تعاليم شيخه الصارمة في حقه، فالمجتمع الإسلامي في الفترة الأولى من ظهور الزهد والتصوف سواء مؤسسة المسجد الذي لم يكن فقط مكانا للعبادة، بل ذلك للتعليم والتشاور وأخذ القرارات [1]، وكان مكان إجتماع أعيان المدينة ومحور نشاط الحياة العلمية والإجتماعية، وكان يمثل روح الحي في المدينة [2] لذا فقد استمرت وظيفته حتى فترة لاحقة إمتدت إلى العهد العثماني، وبظهور الرباطات وإنتشارها على الحدود الإسلامية انتدب المسلمون لأداء فريضة الجهاد، فصارت الرباطات ثكنات حدودية يتفقه فيها المرابط إلى جانب دوره العسكري [3]، ولكن في زمن الفاطميين تعطل دور الربطات وتشتت المعتصمون بها، وإتجهوا داخل البلاد بحثا عن أماكن الخلوة والعبادة في المدن والقوى، فعمدوا إلى إنشاء مراكز لإستقبال المريدين وتعليمهم العلوم الدينية فظهر كل من:[4]

أ. **الزاوية:** لعل لفظ الزاوية في الأصل مأخوذ من الإنزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيداً عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية، وهي أيضا رباط المجاهد في سبيل الله ، وحافظ لثغورهم إلا أن لفظ الزوايا اليوم يعني مركز القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية. الزاوية في الأصل ركن البناء أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي، على أن مصطلح الزاوية ظل في المغرب الإسلامي أكثر شمولا من ذلك، إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها وأجزائها ووظيفتها العلمية[5]، لذا فهي مركز تحفيظ القرآن وايواء طلبة العلم، وتوفير المبيت لعابري السبيل وعند موت مؤسسها يدفنون بها وتقام لهم قباب على قبورهم التي أصبحت محل تقديس وإعتقادات وزيارات من قبل السكان فانحرفت بذلك عن دورها الأصلي وأصبحت مقصداً لإلتماس البركة وطلب النفعة بتقديم العطايا والهدايا.[6]

---

[1] محمد فرغلي، مرجع سابق، ص07.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، 246.

[3] التليلي (العجيلي)، مرجع سابق، ص34.

[4] المرجع نفسه، ص 34، 35.

[5] عبد العزيز شهبي، **الزويا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007،ص13.

[6] التليلي (العجيلي)، مرجع سابق/ ص35.

ب. **الطريقة:** كان لظهور الطريقة مبرر في تقسيم العقيدة الإسلامية إلى شريعة وحقيقة، فالشريعة هي الباب الذي يدخل منه الجميع، والحقيقة هي التي لا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار فهي بذلك طريق خاص بنوع من الناس يتميزون عن غيرهم برؤية معينة في المنهج اللازم إقناعه للوصول إلى الحقيقة المطلقة عبر مراحل ومقامات تجتهد كل طريقة في استقائها من منابع ومصادر تعتقد أنها يقينية.[1]

من خلال ما ذكر كانت طريقة صوفية تعتمد للتذليل على صحتها وشريعتها على سلسلة من االصالحين والأعلام تتصل دائما بالرسول ﷺ.

فالطريقة القادرية تذهب في ذلك إلى إعتماد أن أورادها وأذكارها وتعاليمها عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل وإلى النبي ﷺ الذي لقنها لعلي بن أبي طالب و هو بدوره لقنها لعمر بن الخطاب فأبي بكر الصديق.

ما ينبغي الإشارة إليه أن لكل طريقة نظام مهيكل من إطارات مختلفة المراتب أبرزها:

-**الشيخ:** ويعتبر أهم إطار في الطريقة الصوفية، يستمد نفوذه من مكانته الدينية، بإعتباره العارف بالله والقادر على تربية النفس والنفوس، نستفيض عللها، وتحديد علاجها، وحتى يكتسب مشائخ الطرق مزيداً من الشرعية والنفوذ الروحي على الناس، إستمدوا نفوذهم من النسب الشريف.

-**المقدم:** وهو ممثل شيخ الطريقة في إحدى زواياه، الذي يفوض له الشيخ ممارسة مهامه لدى أتباع الطريقة بالزاوية التي ألتحق بها، عن طريق حصوله على إجازة من الشيخ، إذ تحتوي هذه الإجازة تعريف بالمقدم وتحديد السلسلة الطريقة وذكرها وأسلوب تلقينه للإتباع، وينتهي عادة نص الإجازة بنصح الأتباع بالتقوى وبطاعة المقدم في مهمته.[2]

**2 -مقامات التصوف:**

المقام هو قيام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والإنقطاع إلى الله تعالى.[3]

---

[1] التليلي (العجيلي)، مرجع سابق، ص36.

[2] المرجع نفسه، ص 37، 38.

[3] محمد الصالح (رزايقية)، مرجع سابق، ص25.

وقد اختلف شيوخ الصوفية أنفسهم في عدد مقامات وجعلها الشيخ الطوسي في كتابه الشهير "اللمع في تاريخ التصوف" سبعا وهي: التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، التوكل الرضا.[1]

- **مقام التوبة:** هو أول مترلة من منازل الساكين وأول من مقامات المنقطعين إلى الله وتحديد التوبة، أو معناه الصحيح هو إنتباه القلب من رقعة الغفلة، كما هو الرجوع، كما كان منصوصا في الشرع إلى ما هو محمود فيه وذلك لقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا آمنو توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾ [التحريم، الآية 8]. [2]

وللتوبة ثلاث شروط:

-الندامة على ما سبق من السيئات والذنوب.

-الإستغفار بنية صالحة.

-التخلي عن السيئات وعدم الإسرار بها.

حيث أن الندامة والتوبة هي حالة مستمرة لا تنقطع بمجرد الإستغفار الأول بل هو إستغفار متواصل ومحاسبة مستمرة في النفس والأعمال والأحوال، كما أنه تدقيق في المواقف سواء الظاهرة والباطنة.[3]

- **مقام الورع:** الورع هو التقوى، أي الإبتعاد عن الإثم، الكف من الشبهات والمعاصي، وقيل هو ملازمة الأعمال الجليلة من خلال إجتناب الشبهات لأنها تؤدي إلى الوقوع في المحرمات، والورع أن نتورع، أي ألا يتشتت قلبك عن الله طرفة عين.[4]

الورع أن يمتنع المريد عن كل حرام، ويتعفف من كل شهية، إذا تشابه الأمر عليه و لم يستطع أحد أن ينقده من حيرته فليستفتي قلبه، وذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِني أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ ربي عَذَابُ يم عظيم﴾ [الأنعام، الآية 25]

---

[1] أبي نصير عبد الله الطرسي، **اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي**، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، ص 46، 47.

[2] محمد الصالح (رزايقية)، مرجع سابق، ص26.

[3] المرجع نفسه، ص 26، 27.

[4] المرجع نفسه، ص27.

- **مقام الزهد:**

قال الله تعالى: ﴿وإشتروه بثمن بخس دراهم معدودةٍ وكانوا فيه من الزاهدين﴾ [يوسف، الآية20].

قال علي بن أبي طالب لما سئل عن الزهد: "هو أن لا تبالي من أكل الدنيا من مؤمن أو كافر".[1] إذن فإن الصوفي الذي لم يحكم أساسه من الزهد لا يصح له شيء مما يعده، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة، فالزهد ترك لذائذ الدنيا الفانية طمعا لذائذ الآخرة الخالدة، لذا كان الزهد عند بعضهم أفضل من الفقر، ذلك لأن الفقير عادم للشيء إضطراري، أمّا الزاهد تارك الشيء إختياراً.[2]

- **مقام الفقر:**

قال الرسول ﷺ عن الفقر:«الفقر أزين للعبد المؤمن من العذر الجي على ... الفرس».[3]

والفقر الصوفي لا يعني إنعدام الملكية فقط، بل يتضمن إنعدام الرغبة في الأمور الدنيوية، ونقص اليد عن المشاركات في الملكيات الدنيوية وترغيبها على أن الغاية الوحيدة المرغوب فيها.[4]

وقال أبو محمد الجريري عن الفقر: "ألا تطلب المعدوم حتى تفقد الموجود"، أي لا تطلب الأرزاق إلا عند الخوف من العجز عن القيام بالرفض.

وقال الكتاني: "إذا صح الإفتقار إلى الله صح الغنى بالله، لأنهما حالات لا يتم أحدهما إلا بالآخر".[5]

- **مقام الصبر:**

قال سهل بن عبد الله الستري: "الصبر هو إنتظار الفرج من الله تعالى وهو أفضل الخدمة وأعلاها"[6]. فالصبر من المقامات التي تمكن السالك من تحمل جميع ما يحل به من المصائب والنكبات لأنها صادرة عن مشيئى الله، ويرى الطوسي أن الصبار أعلى درجات الصابرين لأن

---

(1) أبو بكر محمد( الكلاياذي)، مصدر سابق، ص112.

(2) محمد الصالح (رزايقية)، مرجع سابق، ص28.

(3) المرجع نفسه، ص28.

(4) المرجع نفسه، ص29.

(5) أبو بكر محمد( الكلاياذي)، مصدر سابق، ص 113، 114.

(6) المصدر نفسه، ص29.

صبره في الله وبالله، مهما وقعت عليه البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة، لا من جهة الرسم والخلقة.[1]

- **مقام التوكل:**

هو الإستسلام إستسلاما تاما لمشيئة الله، وأول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف ما يشاء، ولا يكون له حركة أو تدبير، وقد أثر الصوفيون تأثيراً قوياً في الإسلام عن طريق قولهم بالتوكل حتى طبعوه وهو ما يسمى عندهم الإستسلام أو الجبر الإسلامي.[2]

قال الجنيد بن محمد: "حقيقة التوكل أن يكون لله تعالى كما لم يكن، فيكون لله كماله يزل".

وقال أبو أيوب: "التوكل طرح البدن من العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية"[3]

- **مقام الرضا:**

وهو آخر مقامات التصوف، وقيل فيه إذ يرى الغزالي في الرضا عزة من عزات المحبة، وهو أعلى مقامات المقربين، أمّا رابعة العدوية بنت إسماعيل العدوي قاله فيه: "إن العبد يكون راضياً على الله إذا سروره المصيبة كسروره بالنعمة".[4]

## 2- مفهوم الطريقة الصوفية.

في اللغة تطلق الطريقة على مذهب الشخص وحاله، وجاء في مختار الصحاح للرازي "طريقة الرجل مذهبه يقال: مازال فلان على طريقة واحدة، أي حالة واحدة". [5] وتأتي كلمة طريقة بمعنى المذهب: فقد جاء في كتاب مجمع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري ما يلي: والطرائق جمع الطريقة هي مذهب الرجل وجاء في لسان العرب لابن منظور طريقة الرجل مذهبه.[6]

---

[1] أبي نصير عبد الله علي السراج الطوسي، مصدر سابق، ص55.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[3] أبو بكر محمد الكلاياذي، مصدر سابق، ص120.

[4] محمد الصالح (رزايقية)، مرجع سابق، ص30.

[5] محمد (بن بكر الرازي)، **مختار الصحاح**، تح: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995، طبعة جديدة، ج1،ص 164.

[6] محمد (ابن منظور)، **لسان العرب**، دار صادر ، بيروت1995، ج10، ص221.

تأتي كلمة الطريقة بمعنى السنة، فقد ورد في تحفة الأحواذي للمباركفوري: "والسنة لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة".

أمّا الطرق الصوفية فقد إعتبرها المتصوفة أنها الطريقة التي توصلهم إلى الله أو السيرة المختصة بالسالكين إلى الله والطريق الموصلة إلى الله سبحانه هي التي تلتزم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.[1]

وقد وردة عدّة تعريفات للطرف الصوفية نذكر منها:

أ. "الطريقة أصلاً مجموعة من الرسوم والقواعد يضعها مشايخ كل طريقة، بحيث تختلف عن غيرها من رسوم وقواعد الطرق الأخرى، وبذلك تتمايز فيما بينها بحسب غاياتها ومقاصدها وفلسفاتها"، وتتفق جميعها في أن هناك فيما بينها أصولاً مرعية، وزيا يأخذون به بحسب الطريقة، وأذكاراً يرددونها ومزورة تلقي المريد من أحد المشائخ.[2]

ب. ويبين الدكتور عبد الله السهلي أن تعريف الطريقة بحسب العصر الذي وجدت فيه، ففي القرنين 3و 4هـ و9 و10م كان بمعنى الطريقة: (شيخ له طريقة معينة يلتف حوله المريدون...) إلا أن هذا المعنى للطريقة اختلف عبر القرون لتطور تطبيق الصوفية له، فقد أصبحت الطريقة بعد القرن 6هـ/12م لها بيعة معينة وأوراد، وزي خاص، وموالد معينة، وأضرحة، وزوايا يجتمعون فيها، وكل شيخ طريقة له خلفاء، وغالبا ما تكون مشيخة الطريقة وراثية، ويذهب بعض الباحثين إلى أن عبد القادر الجيلالي، صاحب الطريقة القادرية ( 471-516هـ/1078-1167م) هو أول من نادى بالطرق الصوفية وأسسها.[3]

وكانت الرفاعية هي ثاني طريقة، ثم تتابع ظهور الطرق، ويمثل القرن 6هـ/12م البداية الفعلية للطرق الصوفية وإنتشارها، حيث إنتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية ... كما ظهرت الطريقة الرفاعية، وهذا القرن المشار إليه ( 6هـ/12م) هو الذي يمثل بداية الطرق الصوفية.[4]

---

[1] محمد (بن بريكة)، مرجع سابق، ص350.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، **مرجع سابق**ج4، ص17.

[3] أحميدة( عمير اوي)، **القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية**، مجلة المصادر، الجزائر، 2003، ص179.

[4] يحي( بوعزيز)، **"ثوارت الجزائر في القرنين 19-20"**، منشورات المتحف الوطني المجاهد، ط2، الجزائر،1996، ص338، 339.

إذن فالطريقة هي هي الموصلة إلى النجاة والسعادة، وهنا يمكن إعتبار الطريقة سلما للوصول فقط ولكنها أيضا مجموعة من الشعارات والممارسات والأذكار التي تختلف فيها كل طريقة عن الأخرى في الأزمنة والعدد[1]، لذلك نجد أن كل طريقة لها ذكر يردده أتباعها بطقوس خاصة وهم يستندون في ذلك إلى الآية الكريمة: ﴿يأيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً... ﴾ [الأحزاب الآية 41].[2]

كما نجد أن هناك من يطلق اسم الورد الذي هو المنيع وهو أيضا الدخول في الطريقة إذ يقال ورد أو دخل الطريقة على حد سواء، على أن الداخل في الطريقة يأخذ الورد من الشيخ أو خليفته، وبهذا يصبح الورد هو تعاليه الطريقة وعقيدتها ومذهبها.[3]

كما أن الطريقة عند البعض تعني إتصال المريد بالشيخ وإرتباطه به حيا أو ميتا وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد بإذن من الشيخ أول النهار وأخره، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ وهذا العقد يعرف بالعهد[4]، وصورته أن يتعهد الطرف الأول وهو الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة وقع فيها ويخرجه من كل محنة ناداه مستغيثا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة، أمّا الطرف الثاني وهو المريد يتعهد ويلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى حياته كما يلتزم بعدم إستبدال الطريقة بغيرها من سائر الطرق، وهذه هي الطريقة عند المتصوفة والتي هي أحد أصول التصوف عند أصحابه.[5]

كما أن هناك نقطة أخرى تتفق فيها جميع الطرق وهي:

الحرص على تنفيذ الوصايا الخمس التي لا تتناقض في جوهرها مع الكتاب والسنة، وهذه الوصايا هي: الخوف من الله تعالى، وعدم حب الناس أو كرههم إلا الله وإلى الله، والرضى بما حكم وقدر الله للإنسان، وترك كل شيء لله يصرفه لأن كل شيء لله يصرفه لأن كل شيء من عنده خيراً أو شراً والعمل طبقاً للسنة النبوية والدين يعملون بهذه الوصايا يدخلون في الفرقة الناجية إلى توقع الرسول ﷺ أنها ستكون الوحيدة من بين 73 فرقة التي ستنقسم عليها الأمة الإسلامية من بعده،

---

(1) أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج4، ص17.

(2) المرجع نفسه، ج4، ص24.

(3) المرجع نفسه ج4 ، ص17.

(4) أبو بكر جابر الجزائري، **إلى التصوف يا عباد الله**، دار البصير للنشر،ط1، الإسكندرية، (د.ت)،ص 23.

(5) المرجع نفسه، ص 23-24.

وأغلبية الطرق تتمسك بتعاليم القرآن كأساس لها، لأنها تبالغ في عقيدة شيخها وتعلن أنها تدعوا إلى الله وحفظ دينه، وأن هدفها هو هداية الإخوان إلى الطريق المستقيم، طريق رسول الله الذي هو طريق الله سبحانه وتعالى.[1]

- **الزاوية:**

لكل طريقة زاوية، والزاوية عادة تعني الركن من البيت، وقد تولدت عنها معاني كثيرة منها إنزواء الناس بعضهم لبعض، أي تضامنو وتألفو، وقد أخذت الزاوية في شمال إفريقيا من المعاني ما يطلق على بناء ديني شبيه بمؤسسة تعليمية تحتوي في الغالب على قبة وغرفة الصلاة وضريح الولي الصالح وغرفة لتحفيظ القرآن وإستقبال الزائرين.[2]

كما أن هناك تعاريف مختلفة للزاوية نذكر منها على سبيل الحصر:

هي عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام تحتوي على بيوت للصلاة كالمساجد وغرف تحفيظ القرآن وتعليم العلوم العربية والإسلامية ومأوى للطلبة داخليين يعيشون في تلك الزاولة بدون مقابل، ومكان لطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات التي تستعمل في أعمال الزاوية، وقد تضاف إلى كل ذلك ضريح مؤسسها وتسمى بإسمه غالبا.[3]

ويعتبر مؤسسو هذه الزوايا رجال دين متصوفون زاهدون بدأت حركتهم تظهر في المشرق الإسلامي منذ القرن 2هـ/8م على يد رابعة العدوية، ثم أبي يزيد البسطامي وأبي القاسم الجنيد في القرن 03هـ/9م والحلاج في القرن 04هـ/10م، وأبي حامد الغزالي في القرن 5هـ/11م، وعبد القادر الجيلاني في القرن 6هـ/12م، ومحي الدين بن عربي في القرن 07هـ/13م، وهكذا انتقل التصوف إلى المغرب أواخر القرن الوسيط 05هـ/11م، وكثرت الزوايا وإنتشرت بشكل واسع ومكثف في القرنين 13هـ/19م، والقرن الموالي.

لذا فقد قسم الباحثون الزوايا إلى ثلاث أنواع:

- النوع الأول: هي الزوايا المطلقة والتي تنسب لمكان ماء بنيت للعلم وأفعال البر والإحسان.
- أما الثانية فهي التي تنسب إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحي ذكراه أين يكون مدفونا بها وتكون هذه الزاوية مكانا لطلب البركة لا للعلم أو الإحسان.

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق ،ج4، ص 17.

[2] أحميدة( عميراوي)، مرجع سابق، ص16.

[3] عبد القادر عثمان، **الزوايا والتعليم القرآني والدين بها**، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، 2009، ع2،ص80.

- والثالثة هي الزاوية المنسوبة إلى إحدى الطرق الصوفية، وهي إمّا زاوية الطريقة الأم أو فرع لها لكن تنسب إليها.[1]

لذا فقد لعبت الزوايا الدينية بمختلف أشكالها وأنواعها أدواراً كبيرة في الحياة الدينية والثقافية والإجتماعية، بل وحتى السياسة بالجزائر خصوصاً، والمغرب العربي عموماً، بعضها إيجابي وبعضها سلبي.

**فمن الناحية الإيجابية:**

-إهتمت بتحفيظ القرآن والسنة، ونشرها بصورة مكثفة في الأجيال بين مختلف الطبقات، مما ساعد على حمايتها من النسيان والضياع والإندثار.

-كما إحتضنت اللغة والثقافة العربية والإسلامية ونشرتهما بشكل واسع، وكان ذلك شكل من أشكال محاربة الجهل والأمية خاصة منذ سياسة الاحتلال لتجهيل الأهالي.

-عملت على نشر الإسلام في مناطق عديدة، في الصحاري والأماكن البعيدة، كما فعلت السنوسية والتجانية.

-مساهمتها في جمع كلمة المجتمع وتوحيد صفوفه تحت قيادة هذه الطرق وإزالة الفوارق الإجتماعية بين فئات الناس المختلفة من أغنياء وفقراء وعلماء وأميين وشرفاء وغيرهم.

-كما ساهم بعضها في مقاومة الاحتلال الأوربي، وتصدى زعمائها للمقاومة والجهاد عسكريا وللتنصير والتمسيح دينيا وثقافيا، وحماية الشخصية الوطنية الإسلامية، والهوية الجزائرية.

**أمّا من الناحية السلبية:**

-فقد ساهمت بعض هذه الزوايا والطرق على نشر الدروشة والخرافات والبدع الدينية بين أتباعها، بسبب ضيق الأفق الفكري لهؤلاء وعجزهم على مواكبة الحركات الإصلاحية والتطورات المستجدة جهوياً وعالمياً.

-كما احتد الصراع والخلاف بين بعض شيوخ وزعماء هذه الزوايا لأسباب مختلفة كالأغراض الشخصية حول النفوذ مثلاً، والمكانة الإجتماعية، أو بعض القضايا الدينية الهامشية، وقد لعبت الأيادي الأجنبية والأوربية دوراً كبيراً في إذكاء هذه النزعات والحزازات والمشاحنات بين الأتباع.

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق ،ج4، ص 25

-كما تجدر الإشارة إلى بعض زعماء هذه الزوايا قد استسلم للإدارة الاستعمارية وتعاون معها لدوافع متنوعة بعضها للتقيه وبعضها للحصول على الجاه والسلطة والنفوذ.[1]

-كما أن الزاوية عرفت تطوراً كبيراً إلى أن صارت العاصمة الثقافية والإدارية في ناحية تواجدها وبذلك تكون حلت محل الرباط [2]، وتعد زاوية الشيخ شهادة الواقعة قرب طولقة في الجنوب الشرقي الجزائري أقدم زاوية تأسست في الجزائر خلال القرن السادس الهجري.[3]

[1] يحي( بوعزيز)، **أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و20**، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، 2005، ع7،ص54.

[2] الرباط هو المكان الذي تتم فيه خلوة الولي الصالح مع تلاميذه وأبنائه وبواسطة هذه الخلوة بدأت تتحول صفة المرابط إلى طرقي، أنظر: عميراوي أحميدة، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر ص16).

[3] المرجع نفسه،ص17.

# الفصل الأول

# نشأة التصوف وظهوره بالجزائر

المبحث الأول: نشأته وتطوره

1 – نشأته بالجزائر

2 – تطوره وإنتشاره بالجزائر

المبحث الثاني: مؤسساته بالجزائر

1 – المساجد والزوايا

2 – المدارس العلمية والمكتبات

3 – الأوقاف

## تمهيد:

عرفت المجتمعات الإسلامية خاصة بعد القرن الثاني الهجري حركة دينية جديدة ،عرفت تحت اسم التصوف، وكان ظهوره في البداية مقتصرا على دول المشرق، لكنه انتشر مع الفتوحات الإسلامية ليصل إلى دول شمال إفريقيا، ولعل أبرز الدول التي تأثرت بهذه الحركة الدينية هي الجزائر لذا فقد اتخذ التصوف منذ ظهوره بالجزائر أبعاد اجتماعية، وذلك بسبب الظروف التي كانت تعيشها البلاد وأنساق وراءه الناس لما وجده فيه من مساواة وعدل وإحساس بالوجود والأهمية،فقد كان شكلا من أشكال التعبير عن الغضب الشعبي والتميز الطبقي ،ومنه من خلال هذا الفصل سنتعرف على التصوف وكيف ظهر في الجزائر وماهي أهم مؤسساته؟.

## المبحث الأول: نشأة التصوف وتطوره بالجزائر.

### 1 – نشأته بالجزائر.

بالنسبة للجزائر أو ما يعرف بالمغرب الأوسط، فقد بدأ التصوف فيه تصوفاً نظرياً، ثم تحول إبتداء من القرن 10هـ/16م، وإتجه إلى الناحية العلمية الرفة، وأصبح يطلق عليه تصوف "الزوايا والطرق الصوفية"، وقد ظل هذا التصوف العلمي سائداً في جميع أنحاء المغرب الإسلامي حتى بعد سقوط الدويلات الثلاث ودخول الأتراك العثمانيين.

ومن أوائل المتصوفة في الجزائر نذكر الشيخ أبومدين شعيب بن الحسن الأندلسي (ت594هـ/1198م)، وقد عرفت طريقته "بالمدينية" وقد اشتهرت وعرفت أتباعاً كثيرين، في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي، وإزدادت شهرتها على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش (ت665هـ/1228م)، ثم إزدادت نشاطاً وقوة من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش: أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م) وكان لتعاليم الشاذلي في الجزائر الأثر الأكبر بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن 8هـ/ 14م تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية.

ومن أبرز علماء الجزائر الذين عرفوا بالتصوف العلمي نذكر منهم عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1470م)، ومحمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1489م)، اللذان يعتبران من كبار العلماء والزهاد في القرن 9هـ/15م، فقد جمع كل منهما بين الإنتاج العلمي والسلوك الصوفي، وانتفع بكل منهما خلق كثير، وكان لها تأثير في المعاصرين وفي اللاحقين، وقد كان كلاهما من أتباع الطريقة الشاذلية، وألفوا كتبا في أصولها وفي تراجم رجالها على حد تعبير الدكتور أبو القاسم سعد الله، كما ذكر يحي بوعزيز ذلك.[1]

ونستطيع القول أن التصوف العلمي أو الطرق الصوفية أول من وجد في بلاد القبائل بجاية، والمناطق المحيطة، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن بوسطة رجالات التصوف الكبار من أمثال أبي مدين، أبي زكريا السطيفي، يحي العدلي، أحمد زروق... ومن بجاية إنتشر التصوف إلى بقية مناطق المغرب الأوسط.[2]

---

[1] يحي (بوعزيز)، **ثوارت الجزائر في القرنين 19–20**،مرجع سابق، ص339.

[2] أحميدة (عميراوي) ، مرجع سابق، ص181.

لذا فظهور التصوف في المغرب كان مصدره المشرق، وترجع بوادره الأولى إلى القرون الوسطى، وقد فتح الباب واسعا بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر لإنتشار ظاهرة الأولياء الصالحين في الإسلامي السني خاصة وأن الفقهاء للمذهب المالكي تميزوا بالتسامح والتغاضي على هذا الصعيد وعند هذا التقاطع التاريخي خرج التصوف من كونه مجرد تجربة لصبح بعد ظاهرة إجتماعية من خلال الطرق والزوايا.[1]

## 2 – تطوره وإنشاره بالجزائر.

بدأ التصوف في الجزائر تصوفا فطريا، ثم تحول إبتداء من القرن العاشر الهجري، وإتجه إلى الناحية العلمية، وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في منطقة القبائل بجاية كما قلنا سابقاً.[2]

وبذلك أخذ التصوف يدخل من شرق ومن غرب الجزائر، وهذاراجع إلى عدّةأسباب منها ما هو فكري، وما هو سياسي، وما هو إجتماعي...

**أ -الأسباب الفكرية:**

وجود أعلام صوفية عملوا على نشر هذه الطريقة بكامل المغرب الإسلامي، أثرو بسلوكهم وبعلمهم وبمؤلفاتهم، من أمثال: الشيخ أبي مدين، والملياني والثعالبي... ويضاف إلى ذلك تأثر كثير من علمائنا بالتصوف بالمشرق الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة.

**ب –الأسباب السياسية:**

مثل سقوط الدولة الموحدية: التي كانت تمثل دولة قوية واجهت الغزو الإسباني، ولأسباب داخلية وخارجية تدهورت أوضاعها، ومثل سقوط الأندلس: نتيجة التدهور السياسي الذي أصابها عقب سقوط الدولة الأموية بها، ونتج عن سقوط الأندلس أمران: الغزو الإسباني لمعظم سواحل المغرب الإسلامي، الأمر الثاني: هجرة كثير من صوفيي الأندلس إلى الأراضي الجزائرية.

---

[1] جورج( راسي)، **الإسلام الجزائري – من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات**–، دار الجديدة بيروت، 1972، ص202.

[2] مختار (جابر)، **عن التصوف والصوفية بالجزائر**، عن الموقع الإلكتروني http// :www.mahdy.net بتاريخ : 2009/03/15.

**ج -الأسباب الإجتماعية:**

منها إنتشار البدخ والترف عند طبقات معينة، نتيجة الثراء الفاحش، وتراجع القيم الدينية والأخلاقية، حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم، وقد حارب الصوفية هذا الإنحراف، وقاموا بكل السبل والطرق، هذه الإختلالات، مما أدى إلى إنتشار مذهبهم.[1]

وقد مر التصوف في الجزائر بمرحلتين أساسيتين هما:

1.فترة التصوف النخبوي: وذلك خلال القرون 6 و7 و8هـ/ 12 و13 و14م، وهي الفترة التي بقي فيها التصوف يدرس في المدارس الخاصة، وإفتقاره على طبقة من المتعلمين، وعدم إنتشاره بين الطبقات الشعبية، وبقائه في الحواضر الكبرى: تلمسان، بجاية، وهران.

2.فترة التصوف الشعبي: أو ما يعرف بفترة الإنتقال من التوف الفكري إلى التصوف الشعبي، وقد وقع ذلك في القرن 9هـ/15م، وفيها إنثقل التصوف من الجانب النظري إلى الجانب العلمي، وهو الإنتشار الكبير للزوايا والرباطات في الأرياف والمدن، وانضواء الآلاف من الناس تحت لوائه والتركيز على الذكور والخلوة، وآداب الصحبة وما إليها من مظاهر التصوف الشعبي.

وبفتح باب التصوف للعامة وأهل الريف، إنتقل من النخبة إلى العامة، من المدينة إلى الريف وظهرت الطرق الصوفية الكبرى، وإنتشرت في مختلف أرجاء القطر، كالقادرية، المدينية والشاذلية...[2]

---

[1] عبد القادر (بوعرفة)، **معجم الفرق والنحل في الجزائر**، مخبر الأبعاد القيمة في الجزائر، الجزائر، ط1، 2005، ص10.

[2] يحي( بوعزيز)، **ثوارت الجزائر في القرنين 19-20**، مرجع سابق، ص 339، 340.

## المبحث الثاني: مؤسساته بالجزائر

كان لإنتشار الطرق الصوفية في الجزائر وبروز رجال الدين خلال العهد العثماني، دور هام في إبراز مميزات هذا العهد حيث ظهرت مؤسسات مختلفة ومتنوعة كل واحدة فيها تكون تابعة لرجل ما، ورجال الدين وتسمى على إسمه وقد تنوعت أسماءها، وقد كانت لهذه المؤسسات دور كبير في التعليم والثقافة وإخراج المجتمع الجزائري من جهله، لذا فقد سميت بالمؤسسات الثقافية وتبرز لها أدوار وأعمال، وفوائد كل واحدة من هذه المؤسسات فيما يلي:

### 1 –المساجد والزوايا

### أولاً: المساجد:

الجامع والمسجد والزاوية كان التداخل فيما بينهما من حيث التسمية، وهذا لأن المتصوفين أو علماء التصوف كانوا في بادئ يعتمدون على الزوايا في القيام بمختلف أعمالهم، لكن فيما بعد أخذ كل شيخ أو عالم من علماء التصوف يبني مسجداً تابعاً لزاوية التي تسمى على إسمه، وبذلك قامو بتقسيم مهامهم بين المسجد والزاوية، ومن هنا أصبح وجود المسجد يلعب دوراً هاماً في نشر التصوف وطرقه، حيث أصبح المتصوفون يعتمدون عليه في إلقاء دروسهم في مختلف العلوم المتعلقة بالحياة الإسلامية، ونشر أفكار المتصوفة، والتعريف بشؤون الناس، ومعالجة بعض المشاكل والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية للمجتمع، وذلك يكون شيخ التصوف قد أدى رسالته، وجمع حوله أكبر عدد ممكن من الناس ويؤدي هذا إلى نشر طريقته المتصوفة بينهم.

والمساجد كانت تحدد أنواعها وعظمتها بناءا على مؤسسها، هناك نوع قام ببنائه الحكام والخلفاء والأمراء والولاة، ويعتبر في نظرهم جزءا من واجبهم الديني لخدمة المجتمع الإسلامي وكسب عطف الرعية ونجد منها الجامع الكبير بالجزائر، وجامع الباي بقسنطينة، وجامع صالح باي بعنابة وآخرون في تلمسان وندروما ووهران.

أما النوع الثاني فهو من قام بتأسيسه رجال التصوف وكذلك بنائه وصيانته.و الوقف عليه بهدف التقرب إلى الله، وإستمالة الفئات الإجتماعية إليهم، ونشر أفكارهم المتنوعة في الوسط الإجتماعي للمجتمع الجزائري، ونجد من بين هذه المساجد مسجد بومدين بتلمسان ...الخ.[1]

---

[1] أحمد (مريوش)، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص13.

أمّا النوع الثالث من المساجد قامت بتشييده المؤسسات الخيرية، وهو يعتبر بمثابة عمل مكمل لعمل الولاة، والأغنياء والشيوخ، ويلاحظ الكثير من الباحثين بأن هذه المساجد كانت معظمها متواضعة كما تحدث عن ذلك الورثلاني مقارنا بين المساجد التي بناها الأثرياء والأخرى التي بنيت من طرف الأهالي، فهي مبنية بالحجر أو الجبس، صوامعها منخفضة، قوائمها ضخمة، فراشها بسيط من الحصير والزرابي، أمّا المساجد العثمانية فتميز بدقة البناء غنية بفراشها وزخرفتها المتنوعة.[1]

وقد أعجب الأوروبيون أيضا بهندسة بناء المساجد في المدن الجزائرية، وعرصاتها المرمرية، وزخرفتها بالفسيفساء والنقوش العربية، وفرشها بالزرابي الغنية والحرير المطرز، وهذا ما جعل الفرنسيين يختارون أجمل وأتقن المساجد ويحولونها إلى كنائس كجامع كتشاوة الذي حول إلى كاتدرائية.[2]

ويتضح لنا من خلال ما قلنا أن عدد المساجد في الجزائر وتنوعها لم يكن قليل، وذلك لإشتراك السكان والعثمانيين على السواء في تأسيسها، وكان هؤلاء يهتمون ببناء المساجد بدوافع دينية محضة في أغلب الأحيان، كما جعلوها لخدمة المذهب الحنفي، بل إن وظيفة المدرس عندهم لا تخرج عن ذلك أيضا، فمعظم الأوقاف تنص بشأن التعليم على كون المدرس متخصصا في التفسير أو الحديث أو غيرهما من العلوم الشرعية، فكانت الأوقاف تصرف في أغراض دينية كالقيام بشؤون الجامع والخطبة والإمام والأذان، أو بأمور تعبدية صرفة، كالقراءة وتنبيه الأنام والمحمدية ودلائل الخيرات والتعريف ونحوها، ووجود الأوقاف والمساجد على النحو هذا كان يعطي للجزائر العثمانية طابعا إسلامياً موحداً، وكان من مظاهر الجهاد والإحساس المشترك، ولعل ذلك يتجلى أكثر في العناية بالزوايا والرباطات والقباب ونحوها من مظاهر خدمة الدين وأهله.[3]

## ثانياً الزوايا والرباطات:

ذكر "دوماس" " Doumes" عام 1847م في كتابه "منطقة القبائل" تعريفاً لمفهوم الزاوية حيث قال: "إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة"، والظاهر في هذا التعريف يتفق في الجوهر وما عليه الزاوية أو ما كانت عليه في الماضي.

---

(1) أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص14.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق ج1، ص 252.

(3) المرجع نفسه ج1، ص262.

والزاوية تحتوي عادة على مصلى وغرفة قصرت على تلاوة القرآن، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين علوم الدين، وقواعد اللغة العربية، كما تضم غرف لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، ويلحق بها ضريح الوالي الصالح، ويكون في الغالب هو مؤسس الزاوية وأحد المرابطين بها.[1]

أمّا عن تسمية الزاوية فيرى محمد علي دبوز أنها جاءت إما لإنزوائها على المدينة بإعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية، أم لأن وجودها كان دوما في زاوية وأطراف المدينة، ولذلك فالزاوية هي في الأصل ركن البناء، ويطلق إسم الزاوية على طائفة من الأبنية ذات الطابع المعماري الديني، وهي تشبه المدرسة أو الدير، كما سميت بدار الكرامة، وذلك للإهتمام الواسع في المغرب العربي في عهد الملك الموحدي يعقرب في مدينة مراكش، وبذلك عرفت الزاوية في المغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها المريد للذكر والأوراد وإسماعها للآخرين، كما تقوم أحيانا بعقد الصلح بين المتخاصمين وكثرة بداية التاريخ الحديث، وخصوصاً مع بداية التحرش الإسباني والبرتغالي على سواحل المغرب العربي.[2]

وقد كات هذه الزوايا تعتمد في إستمراريتها وتوسعها على مصادر التمويل ووسائل التحصيل، حيث أنها لا تستطيع الإستمرار، والعيش دون هذا التمويل، وهذا قد يؤدي إلى ضياعها وفناءها، فمعظم الطرق الصوفية لها زوايا يديرها الشيخ الحامل للبركة، وهذه الزوايا منها التقليدية المبنية منذ عهد قديم، ومنها الجديدة التي بناها المقدمون المنفصلون عن شيوخهم الأصليين، والزوايا القديمة كانت مقراً لبعض المرابطين المشهورين، وهم الوارثون لقداسة جدهم وتركته وسمعته ومعظم الزوايا القديمة كانت لها أحباس تتمثل في الأراضي الزراعية وكانت الأرض تحرث وتزرع وتحصد ثمارها على يد السكان أنفسهم عن طريق تخصيص يوم أو أكثر لها، ومن وراء ذلك كانت تجني الزوايا المال والثمرات، وهناك أيضا العقارات كالدكاكين، والمحلات الأخرى التي يذهب ريعها للمرابط والزاوية، ومن ذلك حق الزيارات، أي ما يأتي به الزائر من عطية أو صدقة أو هبة للزاوية وصاحبها.[3]

---

[1] عبد العزيز (شهبي) ، مرجع سابق،ص 14.

[2] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 149، 150.

[3] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج4، ص 284، 285.

وهناك أيضا نوع أخر من المداخيل يحصله – في مواسم معينة- الشواش والوكلاء بإسم كل طريقة، إذ يذهب هؤلاء موسميا، وبأمر من الشيخ أو المقدم، لتحصيل المستحق على الأفراد والجماعات من الأخوان وترجع هذه المداخيل في صيانة الزاوية وتغطية أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ.[1]

وقد لعبت الزاوية في الريف دوراً أكثر إيجابية من الزاوية في المدينة، ففي بداية العهد العثماني كانت الزوايا عبارة عن رباطات وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم، ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد ولكن الدوافع الجهادية كانت تضغط تدريجيا بعد القضاء على الخطر الخارجي الداهم.[2]

فعاد المرابطون إلى قواعدهم وكانوا على صلة بالشعب أكثر من صلتهم بالسلطة العثمانية، وكان على هذه السلطة أن تؤيد المرابطين بالعطايا السخية والإعفاء من الضرائب حتى لا تضعف الرابطة بينهما، كما يظهر الدور الإيجابي للزاوية الريفية في التعليم على الخصوص، كما أن الزاوية القشاشية قد تحولت تدريجيا إلى مدرسة عليا أو معهد، ومن الزوايا التي لعبت دوراً رئيسيا في نشر العلم في غير العاصمة نجد زاوية الفكون في قسنطينة، وزاوية مازونة ذات الشهرة الواسعة وبالإضافة إلى الزوايا المنسوبة إلى الأفراد وهناك الزوايا المنسوبة إلى الجماعة ومن ذلك زاوية الأندلسيين، وزاوية الأشراف.[3]

والطرق العاملة في الجزائر التي لها زوايا وشيوخ ومقدمين تصل إلى حوالي 23 طريقة، بعض هذه الطرق نشأ في الجزائر وبعضها كان يتبع الأم في بغداد كالقادرية أو في المغرب الأقصى كالعيسوية، وجاء غي إحصاء لويس رين سنة 1884 أن عدد الطرق 16 طريقة صوفية في الجزائر و335 زاوية هامة.[4]

وقد كانت الرباطات شيه الزاوية والزوايا من بعض الجوانب، فهي مثلها في خدمة الدين والمجتمع، ولكن الرباطات كانت تمتاز بأنها قريبة من موقع الأعداء.[5]

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، المرجع السابق، ج4، ص 285.

[2] المرجع نفسه، ج1، 267.

[3] المرجع نفسه ج1 ، ص 267- 269.

[4] المرجع نفسه، ج4/ ص 291، 292.

[5] المرجع نفسه، ج1، ص272.

فكانت تهدف بالدرجة الأولى إلى الدفاع عن السواحل المعرضة دوما إلى الغارات الأجنبية ومن هذا كان المسلمون يعدون المرابطة في الثغور واجبا دينيا مقدسا، وجهادا في سبيل الله يتفرغ فيه المرابط إلى العبادة وإفراغ الذهن من شؤون الدنيا، وكانت تقام في تلك الربط حلقات للذكر كما كانت مزارا يختلف إليه العلماء، والفقهاء، ويجتمعون إلى الطلبة للتعليم والتفقه.[1]

وقد لعبت الرباطات دوراً كبيراً في فتح وهران الأول سنة 1732م، الثانية سنة 1792م وإشتهر من علماء الرباطات في الفتح الأول مصطفى الرمامي، أبوالحسن العبدلي، كما إشتهر من علماء الرباطات أيام الفتح الثاني محمد بوجلال، الطاهر بن حوا ومحمد المصطفى بن زرقة.[2]

فالرباطات إذن كانت قلاعا من جهة الزوايا ومدارس متنقلة من جهة أخرى بالإضافة إلى ذلك زاوية الشيخ محمد بن علي المجاجي التي إشتهرت بكونها زاوية ومدرسة ورباطا.[3]

وبهذا تكون الزاوية والربط دوراً هاماً ومميزاً في نشر وتوسيع التصوف في الجزائر والحفاظ على الطرق الصوفية من الإتلاف والإهمال ونشر العلم والمعرفة، بالإضافة إلى دورها الهام في الجهاد في سبيل الله في الجزائر.

أيضا يتجلى دورها في الحركة الثقافية خاصة الجانب التعليمي من خلال نشاطاتها المختلفة كتلقين العلوم الدينية واللغوية والأدبية، وتوجيه الطلبة نحو المدارس المجاورة مثل فاس (القرويين) والزيتونة (تونس)، وهناك من يتعداها إلى الأزهر الشريف (مصر)، ويؤكد مقدم التحفة المرضية أن الزوايا تحتل الصدارة بين مختلف المراكز الثقافية في تثقيف المعوزين والفقراء والمتعطشين للعلم.[4]

## 2 –المدارس العلمية والمكتبات.

**أولاً: المدارس العلمية:** المدارس العلمية مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليل مختلف العلوم الدينية والغير الدينية[5]، وقد ساهمت هذه المؤسسات في تعليم ونشر أفكار رجال

---

(1) حميد (بن خميسي)، **نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط**، دار الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص20.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج4، ص 272.

(3) المرجع نفسه/ ص 273.

(4) محمد( بن ميمون الجزائري،) **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية** تقديم، تح، محمد بن عبد الكريم، س.و.ن.ت، الجزائر، 1972، ص59.

(5) أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 15.

التصوف وبذلك نشر مذهبهم وطرقهم بين الناس، خاصة في المرحلة الأولى من ظهور التصوف وذلك خلال القرون السابع والثامن الهجري، وهي الفترة التي بقي فيها التصوف يدرس في المدارس الخاصة، وإقتصارها على طبقة معينة من المتعلمين، وقدم إنتشاره بين الطبقات الشعبية، وبقائه في الحواضر الكبرى مثل بجاية، تلمسان وهران.[1]

لذا فقد كانت هذه المؤسسة التعليمية منتشرة في كامل البلد، الأمر الذي أدهش الفرنسيين عند إحتلالهم للجزائر، إذ كتب الجنرال "دوماس" (Doumes) تقريراً له: "إن التعليم الإبتدائي في الجزائر كان منتشراً أكثر مما يتصوره الإنسان عموماً، فإتصالاتنا بالأهالي في الأقاليم الثلاثة أظهرت أن نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة والكتابة"، كما علقت على ذلك الباحثة "إفون توران" (Yvonne Turin) صاحبة كتاب "مجابهات ثقافية" بقولها: "إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الإبتدائية "الكتاب" وكانوا يستطيعون قراءة القرآن في صلواتهم.[2]

لذا فقد كان دور المدارس في هذه الفترة بارزاً وهاماً في حياة المتصوف لأنها كانت المؤسسة الوحيدة لإلقائه لدروسه وأفكاره ومذهبه فينجم عن ذلك تخرج رجال متصوفين كبار وبارزين في المجتمع، وبإنتشار هذه المدارس في الجزائر أخذ التصوف وطرقه في التوسع والإنتشار في الوسط الإجتماعي الجزائري، فكان لا يخلوا منها حي من الأحياء في المدن، ولا من القرى في الريف، بل أنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، وبفضل هذه المؤسسة إنتشر التصوف بالجزائر وظهرت بذلك الطرق الصوفية الكبرى في مختلف أرجاء القطر كالقادرية، الشاذلية التيجانية وغيرها.[3]

وهذا ما جعل جميع الذين زارو الجزائر خلال فترة العثمانيين ينبهرون من كثرة المدارس بها وإنتشار التعليم وكثرة الطرق الصوفية بها وندرة الأمية بين السكان، وقدمت بعضهم العشرات من هذه المدارس بالإضافة إلى المساجد والزوايا والرباط والأوقاف أيضا.[4]

---

[1] مختار (جابر)، مرجع سابق.

[2] TURIN(Y), **Affranteurents culturels dans l'Algérie coloniale (1830-1880),** F.Mospera- Paris, 1971, p1270.

[3] مختار (جابر)، مرجع سابق.

[4] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص 274.

وقد إشتهرت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية قبل مجيء العثمانيين بوفرة المدارس العلمية والعلماء رغم تدهورها السياسي، فبالإضافة إلى المدارس الإبتدائية كان بها على الأقل خمس مدارس ثانوية وعالية وهي التي أشاد بها الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل والكاتب المغربي الحسن الوزان الذي أشاد على الخصوص بعناية أهل تلمسان بتشييد المدارس والإنفاق عليها كما وجد الفرنسيين، بعد احتلال تلمسان خمسين مدرسة إبتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي هم مدرسة الجامع الكبير، ومدرسة أولاد الإمام كما أن قسنطينة كانت المدراس الإبتدائية كثيرة الإنتشار بها، حيث كان عدد المدارس الإبتدائية بها عند دخول الفرنسيين حوالي تسعين مدرسة، وهو العدد الذي جعل الباحثين يحكمون بأنه يدل على أن كل طفل بين السادسة والعاشرة كان له مكان في المدرسة، أمّا التعليم الثانوي والعالي فقد وجد الفرنسيون سبع مدارس.[1]

أمّا مدينة الجزائر فقد تضاربت حولها الأقوال في عدد المدارس الإبتدائية والثانوية والعليا الموجودة بها طيلة العهد العثماني، ويعود بذلك بصورة أساسية إلى إدخال المساجد والزوايا في إعداد المدارس وكثيراً ما يتحدث البعض عن مراكز التعليم الثانوي والعالي ولا يتحدثون عن المدارس الإبتدائية، وقدر عدد المدارس بمدينة الجزائر عند دخول الفرنسيين إليها بحوالي 100 مدرسة إبتدائية وغير إبتدائية.[2]

ونظراً لتنوع المعارف والعلوم فقد صنفت المدارس العلمية بالجزائر خلال الفترة العثمانية إلى مدارس خاصة بالعلوم الدينية وذلك لاهتمامها بتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، وتعليم الفقه والتوحيد، وعلوم المنطق، والأصول ومثال على ذلك مدرسة الخنقة التي تنسب إلى مؤسسها أحمد بن ناصر ومدرسة مازونا التي كانت لها أهمية كبيرة في الغرب الجزائري لها نظام وتقاليد استقتها من تلمسان والمغرب الأقصى والأندلس، كلها أنشئت في العهد العثماني، وإشتهرت بالفقه والحديث والمتخرجين منها هو أبو راس الناصري.

وهناك مدارس خاصة بفروع العلوم الطبيعية والتجريبية كعلم الفلك والحساب والطب وعلم الصيدلة والأعشاب وغيرها، ومن هذه المدارس مدرسة أبي مروان بعنابة، وسيدي بومدين

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص 274، 275

[2] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 16.

بتلمسان، وسيدي عبد الرحن الثعالبي بالجزائر العاصمة، ومدارس ندرومة ومازونة، والكحَاية بقسنطينة.[1]

كما إهتمت مدارس أخرى في علوم اللغة والأدب كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي، وقواعد الإنشاء، وركزت على هذا النوع من العلوم لكونها تعد أداة ووسيلة أساسية، للإستعاب وإتقان الفهم في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه.[2]

لذا فقد إنتشر في الجزائر العديد من المدارس خلال الفترة العثمانية في كافة أنحاء البلاد وتوسعها لتشمل عدّة ميادين علوم ومساعدتها في نشر العلم والتعليم وبذلك توسعت رقعة الطرق الصوفية والتصوف بالجزائر منذ القرن 16م، وبذلك مثلت دوراً هاماً في الحياة الثقافية للجزائر العثمانية.

## ثانياً: المكتبات:

تعتبر المكتابات مؤسسة ثقافية لكل بلد حيث أنه إذا حكمنا على النشاط الثافي والعلمي لأي عالم من العلماء أو كاتب من الكتاب يكون ذلك عن طريق الكتب التي ألفها ونشرها.

وتعتبر المكتبة مؤسسة ثقافية لكل بلد هامة في حياة التصوف، حيث انها كانت الوسيلة الوحيدة والمكان الوحيد الذي يمكن فيه لشيخ التصوف أن يبلغ من خلاله رسالته وذلك عن طريق ما ألفه من كتب ينشر من خلالها أفكاره ومذهبه وعن طريق وضع هذه المؤلفات في المكتبة يكون المتصوف قد حقق نجاحاً كبيراً في إيصال ما يريده لمختلف الفئات خاصة منهم الطلبة.

وكان بعض المتصوفون يملكون مكتبات خاصة بهم، وتسمى على أسمهم وتكون تابعة للمسجد والزاوية التي بناها فيضع فيها ما ألفه وما أنتجه من كتب في التصوف والعلوم وفتح أبواب هذه المكتبات للعامة والخاصة، الأغنياء منهم والفقراء، فنجد منها مثلا مكتبة شيخ الإسلام بقسنطينة (عائلة الفكون)، وايضا مكتبة الشيخ محمد بن إسماعيل باعماق الصحراء.[3]

وبإنتشار المكتبات في كامل أنحاء الجزائر أخذ التصوف ينتشر معها وأخذت الكتب والمؤلفات الصوفية تتنوع وتنشر لمختلف كتابها من رجال التصوف، فنجد من أهم المؤلفات أو

---

[1] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 17.

[3] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص 285-287.

الكتب الصوفية "المقدمات" للمتصوف الكبير السنوسي و"العلوم الفاخرة" للمتصوفة عبد الرحمن الثعالبي و "واسطة السلوك" و"تحفة الناظر ونزهة المناظر" للكاتب محمد بن عبد الله الفراوسي الزواوي اليجائي، وغيرهم.[1]

لذا فعنى مكتبات الجزائر كان نتيجة إنتشار حركة التأليف والشيخ بالإضافة إلى الكتب التي كانت تصل عن طريق الحجاج والعلماء الرحالة، فالجيرتي ذكر أن حاجا جزائريا حاول إغواءه حسب قوله ليبعه كتاب في الفلك للسمرقندي، وبعد رفضه إشترى هذا الحاج نسخة لإبراهيم الزمردي بـــ20 ريال إضافة إلى عدد كبير من الكتب.[2]

كما يذكر ابن حمادوش في رحلته عدداً من الكتب التي إشتراها وهو شأن متولى الحاجع الكبير في الجزائر الذي إشترى كتبا وصلت قيمة الكتاب الواحد 600 دينار، ذهبا وهذا في القرن 17م.[3]

لكن شراء الكتب لم يكن دائما للاستفادة العلمية، بل كان البعض للتفاخر بها خاصة بين العائلات[4]. وحتى شيوخ القبائل كانوا يقلدون الملوك والسلاطين في إنشاء خزائن الكتب مثلما يفعل أبو عبد الله محمد الصخري بن أحمد الشريف شيخ قبيلة الدواودة المعادية للأتراك.[5]

وهناك وصلت الجزائر عن طريق العثمانيين أنفسهم فالقضاة والم فتين والدراويش الذين يرافقون الجند من إسطنبول، غالبا ما كانوا يحملون مكتباتهم الخاصة معهم.[6]

ومن أشهر المسؤولين الذين شجعوا على حركة النسخ والإستنساخ الباي محمد الكبير، فقد شجع الطلبة وكتابه الخصوصين على إختصار الكتب المطولة ونسخ بعض الكتب الأخر له كما كان الشراء من أهم الطرق للحصول على الكتب، ولك يكن مقصوراً على الأغنياء والأمراء ونحوهم بل كان يشمل حتى الفقراء من العلماء الذين كانوا يؤثرون الكتاب على ملىء المعدة.

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص100.

[2] عبد الرحمن( الجبرتي) ، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج2، ص.74

[3] أحمد علي الراشدي (ابن سحنون) **التغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني** ، تح وتق/ البوعبدلي، مطبعة البعش، قسنطينة 1973، ص 594.

[4] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص 292، 293.

[5] أحمد علي الراشدي (ابن سحنون) ، مصدر سابق، ص، 594.

[6] أبو القاسم (سعد الله)، المرجع السابق، ج1، ص289.

واللباس الفاخر والفراش الوفير ومن أمثلة ذلك الشيخ ابن إسماعيل الذي إقتنى معظم كتبه من إستانبول، كما أن التأليف أيضا من الطرق العامة لنمو المكتبات وقد كان التأليف في العهد العثماني بالجزائر حركة حية ونشيطة، فلا نجد عالما إلا وله خاتمة من الاكتب التي ألفها مثل عبد الرحمان الأخضري، أحمد المقري، عبد الكريم الفكون [1]، ابن مريم، أحمد البوني، وأبو واس، ابن حمادوش وقدورة.[2]

ويمكن تقسيم المكتبات في الجزائر إلى عامة وخاصة، فالعامة منها هنا هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس، والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصاً ثم لجميع القراء المسلمين، وكانت فيه الكتب بخزائن هذه المكتبات، تكثر أو تقل تبعا لأهمية الوقف الذي تهدى منه، وتبعا بالعاصمة، ومكتبة المدرسة الكتابية التي أسسها صالح باي بقسنطينة ومكتبة المدرسة الكتابية ومكتبة المحمدية الباي محمد الكبير في معسكر.[3]

أما المكتبات الخاصة فكثيرة ليس من السهل حصرها، غير أن بعض العائلات قد إشتهرت، لطول عهدها بالنفوذ بالمكتبات دون الأخرى فعائلة الفكون بقسنطينة كانت لها مكتبة ضخمة أصبحت مضرب للأمثال بعد الاحتلال الفرنسي، ولأبي راس مكتبة كبيرة حسد عليه أحد بايات وهران، وخزانة كتب الزجاي التي قيل أنها "إحدى الخزائن الكبار التي تحتوي على أحمال من المجلدات والأسفار"، ومكتبة شيخ العرب ابن الصخري... وغيرها كثير.[4]

وبهذا تكون للمكتبات دور هام في نشر العلم وشحذ أذهان العلماء والمدرسين، الأثرياء منهم والفقراء وأهمية الوقف والزوايا والرباط والمساجد والمدارس بها وإكمال بعضها البعض وتقديمها للأمم ما تحتاج له، أي بلد للإزدهار والتقدم دو فرض وجودها وهو العلم وبذلك عرفت المكتبات بكتبها القيمة والتي ساهمت في الحياة الثقافية خلال العهد العثماني وخلال الدخول الفرنسي ومازالت إلى اليوم تؤدي دورها التثقيفي والتعليمي، لذا فمعظم الكتب الموجودة في هذه

---

[1] هو عبد .الكريمن محمد بن عبد الكريم الفكون، ولد في (1073هـ/1669م)، أديب، نحوي، محدث، جمع عالم الظاهر والباطن كان عالم المغرب الأول في عصره، من أهل قسنطينة، كان يلي إمارة الحج في الجزائر، توفي بقسنطينة بالطاعون، من أهم مؤلفاته: "منشور الهداية في كشف حال من أدعى علم الولاية"، أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام من منتصف القرن العشرين، ص 97، 98.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص 292- 295.

[3] المرجع نفسه ج1، ص296.

[4] المرجع نفسه ج1، ص297.

المكتبات كانت كتب دينية في التفسير والحديث والفقه وهذا بحكم أن الثقافة خلال العهد العثماني كانت دينية.

## 3- الأوقاف:

يعتبر الوقب أو الحبس من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية والقيم الأصلية إذ يتدرج ضمن الصدقات الجارية بإجماع الفقهاء والعلماء المسلمين، فهو يعبر أساساً عن إدارة الخير، والتضامن عند الإسلام المسلم، وقد إنتشر الوقف بالجزائر العثمانية عبر حواضرها وأريافها وتشمل الاملاك العقارية، الأراضي الزراعية، البساتين، الحدائق، الدكاكين، أفران الخبر، الفنادي، العيون، السواقي الصهاريج وغير ذلك.[1]

وكان الوقف يستعمل في أغراض كثيرة منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة والفقراء واليتامى وأبناء السبيل، كما كان من أغراضه العناية بالفقراء فئة معينة، كفقراء الأندلس، وفقراء الأشراف أو فقراء مكة والمدينة وعن أهمية الوقف يضيف سعد الله قائلا: "ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والإجتماعية فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة وغيرها من المؤسسات الدينية، كما أنه مصدر الحياة والنمو للمساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة، ومن جهة أخرى لعب الوقف دوراً بارزاً في الحياة الإجتماعية، بتضامن المجتمع وترابطه وتوزيع ثرواته على فقرائه والعجزة منهم، وكان الوقف إلى جانب ذلك يلعب دوراً في التأثير الديني والسياسي خارج الحدود، بإرسال النقود إلى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحجيج سنوياً.[2]

لذا فبرغم إيفاء الاملاك الموقوفة من الضرائب إلا أن الحكام العثمانيين قد أيدوا إنتشارها ووضع بعضهم حداً للتهاون والتحايل على الأوقاف، وتصدراً لكل من يجرؤ على نهبها لأن مداخيلها كانت تحمل عنهم ضغوطات، ومتاعب الحياة الإجتماعية والثقافية، وتساهم بقسط كبير في خدمة العملية التعليمية والثقافية وتعمق الضمان والتضامن الإجتماعيين، خصوصا أثناء الإضطرابات التي عرفتها إيالة الجزائر.[3]

---

[1] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص28.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص230،231.

[3] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص 28، 29.

كما أن الظروف الصعبة التي عرفتها الجزائر في القرن 18م أدت إلى تعسف الحكام وإصدار قرارات العزل والتغريم والمصادرة، .ومد يدهم على ممتلكات الأهالي وهو السبب الذي دفع بهم إلى تحبيس أملاكهم، لأن الأوقاف تخضع لأحكام شرعية تمنع أي تطاول عليها.[1]

ومن أشهر مؤسسات الوقف الجماعية إدارة "سبل الخيرات" الحنفية، وكانت مؤسسة شبه رسمية فهي التي كانت تشرف على جميع الاوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس ومساجد وموظفين وفقراء، وكانت تديرها جماعة يعينها الباشا بنفسه ومن أبرز ما قامت به إنشاؤها للجامع الجديد أو الحنفي المسمى أحيانا بجامع الصيد البحري، كما نجد أيضا إدارة الأوقاف "مكة والمدينة" التي كانت لا تقل أهمية عن مؤسسة سبل الخيرات يذهب بعضهم إلى أن هذه المؤسسة أقدم من مؤسسة سبل الخيرات، ولمؤسسة مكة المكرمة والمدينة أهمية سياسية أيضا فقد كانت تمثل وجه الجزائر في العالم الإسلامي وكان ركب الحجيج الجزائري يحمل كل سنة كمية هائلة من النقود والذهب والفضة والألبسة إلى فقراء مكة والمدينة وخدام الحرمين الشريفين.[2]

تعتبر أوقاف الجامع الكبير وبعض زوايا العاصمة، وأوقاف الجامع الكبير بقسنطينة ومعسكر وتلمسان، والمدينة من المؤسسات الثقافية في المجتمع الجزائري وهي لذلك كانت وسائل للنفوذ والإثراء لمن يتولى وكالتها من العلماء، ونحوهم وإستطاع سعيدة قدورة [3] أن يبني زاوية ومدرسة من فائض أوقات الجامع الكبير كما كانت زاوية عبد الرحمن الثعالبي من الزوايا الكثيرة الدخل في العاصمة وكانت جميع الطبقات الإجتماعية توقف عليها بل أن بعض البلدان مثل تونس كانت ترسل إليها حمولة زيت كبيرة جداً.[4]

مما سبق تبرز لنا أهمية الوقف في خدمة العلم الذي كان مرتبطا بالحركة الدينية، لذا فإن مردود هذه المؤسسات الوقفية ساعد على توظيف المعلمين والعناية بالمؤسسات الخاصة بالتعليم ودفع أجور الموظفين بها وبفضل الأوقاف لم يرى الحكام ضرورة لرعاية المؤسسات الثقافية والدينية

---

[1] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص176.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص 237.

[3] سعيد قدورة، يعد من أعلام الجزائر خلال القرن 17، تولت عائلته الإفتاء المالكي بالجامع الكبير لأكثر من قرن، أنظر: أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص 357.

[4] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص243.

من مال الخزينة، لذا فهي ساعدت الحكام العثمانيين في قضية تمويل هذه المؤسسات ورعايتها وتوقيف أوقاف لمواصلة دورها التعليمي.

## الفصل الثاني: أهم الطرق الصوفية خلال عهد الدايات

المبحث الأول: الطريقة القادرية

1 - التعريف بمؤسسها.

2 - تعاليمها ومبادؤها

3 - ظهورها بالجزائر

المبحث الثاني: الطريقة الشاذلية.

1 - التعريف بمؤسسها.

2 - تعاليمها ومبادؤها.

3 - ظهورها بالجزائر.

المبحث الثالث: الطريقة التيجانية.

1 - التعريف بمؤسسها.

2 - تعاليمها ومبادؤها.

3 - ظهورها بالجزائر

## تمهيد:

لقد تعدد الطرق الصوفية في الجزائر مع دخول التصوف وتفاوتت هذه الطرق من حيث الأهمية والظهور، إذ هناك طريقة قديمة الظهور وأخرى حديثة، كذلك نجد طرق أصلية ظهرت في الجزائر وتفرعت فيها في خارجها أيضا هناك العكس وهي تلك التي هي في الحقيقة فروع لأصول موجودة خارج الجزائر، خاصة في المغرب الأقصى أو في المشرق، كما نجد الطرق الكبيرة ذات الآلاف من الأتباع الذين يتوزعون على كامل البلاد وأخرى صغيرة محدودة الأتباع والمكان.

قد تم تناول بعض الطرق في هذا الفصل في محاولة لتغطية جميع أنواعها من حيث المتأصلة في الجزائر وأخرى متفرعة من المشرق وأخيرة متفرعة من المغرب العربي، وتم الترتيب حسب الظهور أي من الأقدم إلى الأحداث.

## المبحث الأول: الطريقة القادرية

يمكن إعتبار الطريقة القادرية من أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق تأسيسا، وأقدمها ظهوراً على مستوى العالم الإسلامي، وبذلك تكون أيضا من أقدم الطرق ظهوراً ووجودا في الجزائر على إعتبارها وجدت أرضا خصبة ساعدت على سرعة تغلغلها إنتشارها خاصة خلال الحكم العثماني.

### 1 -التعريف بمؤسسها.

هو أبو صالح سيدي عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحي الزهراني بن محمد بن داود بن موسى الجون بن عبد الله المحطي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وملاتنا فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ فهو الشريف حسني من جهة الأم[1]. لكن هناك من يقول أنه أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني.[2]

وعرف باسم الجيلاني، أو الكيلاني: أو الجيلي وكلها نسبة إلى مكان ميلاده وهو الجيلان وهي مدينة يقال أنها تابعة لإقليم طبر ستان بعراق العجم [3]، ورأي أخر يرى انها في بلاد فارس.[4]

ولد عبد القادر الجيلاني سنة 471هـ/1078م[5]، وكان خروجه إلى الدنيا عند سروق شمس الفاتح من رمضان وذكرت له كرامات حفت ميلاده إرهاصا للصلاح الذي سيكون عليه.[6]

انتقل إلى بغداد لما بلغ الثانية عشر من عمره، أي سنة 489هـ[7]، والتي كانت تعج بكبار الفقهاء وأعلام المحدثين، والقمم العوالي من أهل التصوف، كما أنها كانت محظ أنظار طلاب الدنيا والدين.[8]

---

(1) محمد (بن بريكة) البوزيدي الحسني ، **موسوعة الطرق الصوفية–الطريقة القادرية–**، ج3،الحكمة،الجزائر،2007 ص10،11.

(2) خير الدين (الزركلي)، **الأعلام قاموس تراجم**، ج4، ط2، (د. ت)، (د.م)، ص17.

(3) محمد (بن بريكة)، **موسوعة الطرق الصوفية، الطريقة القادرية**، مرجع سابق، ص11.

(4) صلاح (مؤيد العقبي)، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، 2002، ص143.

(5) محمد( بن بريكة) البوزيدي الحسن، **موسوعة الطرق الصوفية، الطريقة القادرية**، مرجع سابق، ص11.

(6) المرجع نفسه، ص11.

(7) المرجع نفسه،ص11.

(8) صلاح( مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص143.

قد اجتمع عبد القادر الجيلالي هناك بالشيخ حماد الدباس [1]، والذي صار فيما بعد شيخه والذي حفظ على يده القرآن وبعدها تعمق في أصول المذهب الحنبلي وفروعه على يد أكبر الفقهاء الحنابلة أمثال أبي الوفاء بن عقيل وأبي الخطاب محفوظ الكلوذاني، ما علوم الأدب وفنونه فأخذها على يد أبي يحي التبريزي وعلوم الحديث عن أبو غالب الباقلاني، أبو بكر المظفر وأبو القاسم الكرخي وغيرهم. [2] وبهذا إستطاع أن يجمع الشيخ عبد القادر الجيلاني بجميع العلوم خاصة الشرعية منها التي تساعده في وضع تعاليم طريقته التي سميت على اسمه فيما بعد، أخذ أيضا علم الطرقة وتعاليمها عن شيخه حماد الدباس كما سلك على يده الفتح الرباني والفيض الرحماني، لبس الخرقة المباركة[3] من القاضي أبي سعيد المبارك الحزم الذي توفي سنة 551هـ.[4]

يعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني عند المتصوفين سلطان الأولياء وقطب الأقطاب عضد الإسلام كما كان يلقبونه بمولى بغداد[5]، وبهذا يعد أعظم الأولياء شهرة في الإسلام، إذ أجمع على عدالته وصلاحه حتى الذين عرف عنهم تحاملهم على الصوفية كابن قدامه الحنبلي المتوفى عام 620هـ فإنه يقول: "لم أسمع عن أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يحكي عنه (المقصود هو عبد القادر الجيلاني) ولا رأيت أحد يعظمه الناس للدين أكثر منه".[6]

وأعظم ما عرف عنه من الكرامات على الإطلاق هو استقامته على دين الله حسا ومعنى، ظاهرا وباطنا بحيث يصفو العبد مع الحق بلا كدر فيتزل مقام العبودية المحض وكان هذا الشعار أساس طريقته.[7]

---

[1] صلاح( مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص143

[2] محمد (بن بريكة )البوزيدي الحسن، **موسوعة الطرق الصوفية، الطريقة القادرية**، مرجع سابق، ص 11،12.

[3] السند في مباركة هذه الخرقة هو كالآتي: لبس عبد القادر الجيلاني من أبي سعيد المخزومي وهو من أبي الحسن علي بن محمد القرشي وهو من الفرج الطرسومي وهو من أبي الفضل عبد الواحد التميمي وهو من أبي الشلبي وهو من أبي القاسم جنيد وهو من سري القسطي وهو من معروف الكرفي وهو دن داود الطائي وهو من حبيب العجمي وهو من الحسن البصري وهو من باب مدينة العلوم الجليلة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو من سيدنا الحبيب المحبوب محمد –صلى الله عليه وسلم– وهو من جبريل الأمين –عليه السلام– وهو بأمر العزة جل جلاله تقدست صفاته وتباركت أسماؤه. أنظر: محمد بن بريكة، ص13.

[4] المرجع نفسه، ص12.

[5] أبو القاسم( سعد الله)، مرجع سابق، ج4، ص42.

[6] محمد (بن بريكة) البوزيدي الحسن، **موسوعة الطرق الصوفية، الطريقة القادرية**، مرجع سابق، ص14.

[7] المرجع نفسه، ص 15، 16.

ولقد خلف الشيخ عبد القادر الجيلاني للثقافة العربية والإسلامية ثروة لا يستهان بها من الكتب والرسائل نذكر منها:

-افتح الرباني. - فتوح الغيب.

-الغنيمة لطالب الحق. - الفيضات الربانية.[1]

## 2 -تعاليمها ومبادؤها:

من المعروف أن لكل طريقة صوفية تعاليمها، وإذا عارض الخاصة بها وضد أيضا ما نجد في الطريقة القادرية.

فالتصوف عند الجيلاني ليس أقوالا تقال ولكنه طريقة — فيها الجوع وقطع المألوفات- والمستحسنات والخصال التي ينبغي أن يأخذها الصوفي لنفسه هي ذاتها خصال الأنبياء عليهم السلام لذلك نجد أن التصوف الذي يؤثر الجيلاني هو ذلك التصوف الذي يمتاز بالصفاء من أدارات النفس والهوى وهو الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخالق.[2]

وقد جاء في الكتب الفرنسية أن زعماء القادرية كانوا يدعون إلى العلم والأخلاق وإلى صبر والإتقان، أمّا الواجبات عند الطريقة القادرية فهي ذكر الله والصدق والابتعاد عن شر الدنيا وأن تحب الناس وتخاف الله، كان أولئك الزعماء قد أكد على أن تعاليم القادرية حتى امتداد الأفكار أخلاقية وفلسفية مشتركة بينما وبين الطرق الصوفية الأخرى، وبهذا تكون الطريقة القادرية حتى القاعدة الأساسية بمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها، حتى لكل التي استقلت عنها بقيت على صلة بها، ولذلك تمنع القادرية أتباعها من أن يجمع بينها وبين طريقة أخرى.[3]

أمّا عن الذكر عند القادرية فهو ذكر الله وحده والإكثار من الصلوات وهذا ما فعله الشيخ الجيلاني نفسه[4]، فقد كانت عبوديته صحيحة مستمدة من خط كمال الربوبية، فهو عبد سماع مصاحبه التفرقة إلى مطالعة.

---

[1] صلاح (مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص143.

[2] عبد المنعم( الحنفي)، **الموسوعة الصوفية (أعلام التصوف، المفكرين والطرق الصوفية)** ، دار الرشاد العربية للطباعة والنشر، مصر، 1992، ص114.

[3] أبو القاسم( سعد الله)، مرجع سابق، ج4، ص 43، 44..

[4] المرجع نفسه ج4، ص43.

الجمع مع أحكام الشرعية، وعن طريقة الجيلاني، قال عدي بن مسافر "هي الذيول تحت مجاري الأقدار بمرافقه القلب والروح واتخاذ الباطن والظاهر إسلافه عن صفات النفس، مع الغيب عن رؤية النفع الضر والقرب والبعد.[1]

وقد ذكر محمد علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية أن أصل القادرية أثناء الحضرة بقرآن أيضا الفاتحة بعد الصلوات الخمس ويصلون على النبي ﷺ عدد 121 صورة في شكل جماعي، كما اختبرناهم يذكرون عبارة "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" 121 مرة أيضا، ويقرؤون صورة ياسين أو غير ذلك من القراءات والأدعية.[2]

### 3 ظهورها بالجزائر:

لم تبق تعاليم الطريقة القادرية حكراً على بلاد المشرق عامة وبغداد خاصة بل سرعان ما إنتشرت في جهات عديدة من العالم الإسلامي إنتشاراً واسعاً كما كان لها نشاط كبير في نشر الإسلام في المناطق التي لم تعرفه بعد.

أمّا عن دخول الطريقة القادرية إلى الجزائر فقد كان على يد الشيخ أبو مدين شعيب بن حسين، حيث التقى هذا الأخير بالشيخ عبد القادر الجيلاني في عرفات وتتلمذ ودرس على يده في مكة ثم عاد إلى الجزائر واستقر في بجاية أين تصدى للتعليم والتدريس والتربية والوعظ والإرشاد، وبث طريقته الصوفية القادرية، فأقبل عليه طلبة العلم من كل الأصقاع، لأن بجاية في هذه الفترة كانت عامرة ومزدهرة بالعلوم والمعارف والثقافة، وكثر ورود الطلاب عليها من الأفاق البعيدة خاصة الأندلس وفاس ومراكش وتلمسان، وقد تتلمذ على يد الشيخ أبو مدين شعيب: محمد بن حماد الصنهاجي القلعي، عبد الحق الاشبيللي، الشيخ أبو علي المسيلي الملقب بابي حامد الصغير وعبد السلام بن مشيش، مّا عن تعاليم الطريقة القادرية فقد ورثها إلى عدد من تلاميذه من أبرزهم: محي الدين بن عربي دفين دمشق، عبد السلام بن مشيش الذي يعد شيخ شيوخ الطريقة الشاذلية القادرية ومنه انتقلت إلى أبي الحسن الشاذلي.[4]

---

[1] محمد( بن بريكة )البوزيدي الحسن، **موسوعة الطرق الصوفية، الطريقة القادرية**، مرجع سابق، ص16.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، المرجع السابق ج4 ، ص43.

[4] يحي (بوعزيز)، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب** ، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة، الجزائر، 2004، ص 440 .441

كما كان قدوم إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى من العوامل التي ساعدت على نشر الطريقة القادرية في شرق البلاد غربها بداية كانت في الأوراس مكان إستقراره، حيث اسس الزاوية القادرية في بلدية المنعة قد وصل حينها عدد الزوايا التي تخلد اسم الشيخ عبد القادر الجيلالي إلى قرابة 200 زاوية.[1]

أمّا في الغرب الجزائري بالضبط بالقرب من مدينة معكسر توجد زاوية القيطنة التي أسسها الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي جد الأمير عبد القادر حوالي سنة 1200هـ/1785م[2]، حيث درس وتفقه في غريس بضواحي مدينة معسكر وأخذ الطريقة القادرية على الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي ثم رجع زار حج وزار بغداد، جدد أخذ الطريقة ولبس الخرقة هناك على مقدم الشيخ عبد القادر الجيلاني تبرع من ماله الخاص لتوسيع ضريح الشيخ عبد القادر. وعندما عاد إلى الجزائر أسس قرية القيطنة وزاويته معهد بوادي الحمام عام 1206هـ/1791-1792م[4] وتصدى للتعليم والتدريس وإعطاء ورد الطريقة، ووظف في زاويته علماء أجلاء أمثال شيخه عبد القادر المشرفي، أمّا عن أبرز تلامذته ومريدي طريقته فقد كان باي وهران المصلح والمجاهد محمد عثمان الكبير الذي لم يكن يرد له طلبا وكان ايضا يجمع بين الشريعة والحقيقة ويبحر في العلوم العربة الفقهية وعلم التصوف الحكة وخلال عودة الشيخ مصطفى الغريسي من حجته الرابعة وافته المنية في برقة ودفن بعين غزالة قرب درنة الليبية كان ذلك سنة 1212هـ/1997-1798م[5] وما يزال قبره معروفاً حتى اليوم. وقد تولى أمر الزاوية من بعد الشيخ الغريسي ولده محي الدين الذي كان من شيوخ العلم المشهود لهم الذي تولى أيضا ولده عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين وأصبح الشيخ محي الدين يلقن أوراد الطريقة القادرية للمريدين نشر العلم من الزاوية التي كانت عبارة عن معهد، بالإضافة إلى تلقين الرد ونشر العلم كانت الزاوية محط الزائرين والغرباء والفقراء وقد قيل أن الناس يتهافتون في النفقة عليها. بعد وفاة الشيخ محي الدين سنة 1250هـ تولى ولده محمد السعيد أمر الزاوية.[6]

---

[1] صلاح( مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص146.

[2] يحي( بوعزيز)، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، مرجع سابق، ص442.

[4] المرجع نفسه، ص442.

[5] المرجع نفسه، ص442.

[6] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج4 ، ص514.

## المبحث الثاني: الطريقة الشاذلية.

تعد الطريقة الشاذلية من الطرق الصوفية التي برزت في الجزائر خلال فترة حكم الاتراك التي تميزت عن غيرها من الطرق بتعدد فروعها بمنطقة المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة الأمر الذي جعلنا نتنازل أصول هذه الطريقة وكيفي إنتشارها في الجزائر.

### 1 -التعريف بمؤسسها.

تعد الطريقة الاذلية إحدى الطرق الصوفية المعروفة وتنتشر بشكل أساسي في مصر وتونس والجزائر، فهي ترجع إلى المشيشية التي ترجع بدورها إلى المدينية التي هي فرع من القادرية الجنيدية إذ يعتبر شعيب بن حسين الأندلسي، المعروف بابي مدين هو مؤسس مدرسة التصوف نقلا عن عبد القادر الجيلاني أبي القاسم جنيد.

وهي تنتسب إلى الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المولود سنة 593هـ[1] في بلدة غمارة بالقرب من مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، والشاذلي هو اسم الشهرة نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس التي هاجر إليها بعد أن غادر قرية غزو وزم وقد تلقى الشاذلي علوم الطريقة عن الشيخ عبد السلام بن مشيش، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره انتقل إلى قرية شاذلة بالقرب من مدينة تونس، واستقر في جبل جلاس واختلى فيه، أخذ ينشر التصوف هناك والتف حوله الأتباع، لكنه لقي إنكاراً ومعارضة من حاكم تونس وكبار قضاتها [2]، فانتقل إلى مصر لكن خصومه سبقوه إلى هناك، حرضوا أهلها عليه، مما دفعه إلى الانتقال إلى القاهرة وعاش فيها، كما أظهر كرامته التف حوله العامة والخاصة، وأيده خصومه السابقين من أمثال العز بن عبد السلام، وهكذا كثر اتباع الحسن الشاذلي، بعد أن كان خائفا يترقب ويعاني من العزلة والفقر، وأصبح يحج كل عام ويجاور فترة هناك، توفي أثناء إحدى حجاته سنة 656هـ 1258م.[3]

وكان الشاذلي يأخذ زينته عند كل مسجد، يتحلى دائما بالثياب الحسنة، ويعرض عن لبس زي الصوفية، كما كان يركب الخيل، ويقول: "لا تسرف بتر الدنيا فتغشاك ظلمتها، أو تنحل

---

[1] أبو القاسم( سعد الله)، مرجع سابق، ج4 ، ص66.

[2] صلاح (مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص149.

[3] عبد المنعم( الحنفي)، **الموسوعة الصوفية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003، ص319.

أعضاؤك لها فترجع إلى معانقتها بعد الخروج منها".

من خلال ما ذكر يتضح ان الشاذلي لم يكن من المتصوفين الزهاد المتقشفين الذين عرفوا بالعزوف عن متطلبات الحياة إلى حد وصلوا فيه إلى الصيام ليل نهار والبخل على أنفسهم حتى من الأكل، بل كان من المحبين لتجديد الأناقة ويعط نفسه حقها في الترفيه، بدليل حبه لركوب الخيل الاحتفال في المواسم.

"هذا وقد شارك في موقعة المنصورة بين المسلمين بزعامة الظاهر بيبرس والفرنجة بزعامة لويس التاسع ملك فرنسا"[1]، ورغم أنه كان مسنا قد كف بصره إلا أنه كان في مقدمة المجاهدين.

ولقد تخرج بصحبته وعلى يده جماعة من كبار العلماء والشيوخ أبرزهم أبا العباس المرسي[2]، الذي قال عنه الشاذلي عند وفاته: "إنه الخليفة من بعدي وسيكون له بينهم مقام عظيم وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى" [3] الذي أكمل الفكر الصوفي لشيخه وأبا النائم ماضي وغيرهم.

ولأبي الحسن مؤلفات من أهمها:

-الحزب المشهور.

-حزب الشاذلي.

-رسالة الأمين في آداب التصوف.

-السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل.[4]

## 2 -تعاليمها ومبادؤها.

تتصف الطريقة الشاذلية بمجموعة من الأفكار والمعتقدات، وتتسم بنهج معين يجعلها تختلف في أسلوبها عن غيرها من الطرق الصوفية، يمكن إبراز هذه النقاط فيما يلي:

---

[1] صلاح (مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص152.

[2] من أبرز تلاميذ الشاذلي وزوج ابنته، قدم معه من تونس إلى مصر، أصله من مرسية في الأندلس وإليها ينسب، ولد سنة 616هـ، توفي سنة 686هـ.

[3] محمد مصطفى( عبد القادر)، الطريقة الشاذلية، الموقع الإلكتروني: http://www.alsoufia، بتاريخ: 2013/04/24.

[4] صلاح( مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص154.

**أ –الأفكار والمعتقدات:**

وتقوم الشاذلية على الرحلة الفكرية التأمل المستمر في وحدانية الله، وعلى الإيمان في الأرض بحثاً عن التطهر والتسامي، على إهمال الذات وقمعها في سبيل الله، وعلى القيام بالصلوات الواجبات الشرعية في كل وقت وفي كل الظروف وفي كل مكان لكي يعيش المريد في وحدة دائمة مع الله.

"كما أنها لا تؤمن بالخلوة وبالممارسات التهريجية لا الانتفاضات والطفرات، بل تهتم بالعلم الروحاني الذي يقود المريدين إلى العيش الدائم في ذات الله، وأن مذهبهم هو المساواة وأنهم يقفون ضد التطور الاجتماعي ويعارضون المسيحيين في ذلك، كما يرفضون قبول الوظائف الإدارية"[1].

كما أن أتباع الطريقة الشاذلية يؤمنون بأن أبا الحسن الشاذلي من نسل الإمام علي له سلسلتان[2] إحداهما سلسلة الورد وتبدأ بالشاذلي نفسه وثم بعبد السلام بن مشيش، وتنتهي بالإمام علي وبالرسول ﷺ وجبريب عن الله سبحانه وتعالى.

وهناك سلسلة البركة وهي لا تختلف كثيراً عن الأولى وتنتهي أيضا بالإمام علي.

أيضا من بين عقائد الطريقة الشاذلية، الاعتقاد بوحدة الجود، إذ أن شيخهم يقول في ذلك: "من أطاع الله في كل شيء، بهجرانه لكل شيء، أطاعه الله في كل شيء، بأن يتحلى له في كل شيء".[3]

وقوله: "قيل لي (أي أوحي الله إلي) يا علي، بي قل، وعلي سل، أنا الكل".[4]

ومن عقائدهم أيضا الغلو في الشاذلي وشيوخهم الآخرين، حتى أوصلوا بعضهم إلى مرتبة الربوبية، فقد قالوا أن مقام الشاذلي عند العرش، وأن الله كلمه في جبل زغوان، الذي اعتكف فيه وزعموا أنه ما من كائن أو ولي الله إلا أطلع الله شيخهم أبا العباس المرسي عليه وعلى اسمه نسبه وكم حظه من الله.[5]

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج4 ، ص68.

[2] المرجع نفسه، ص69.

[3] محمد مصطفى( عبد القادر)، مرجع سابق.

[4] المرجع نفسه.

[5] Octave Depont, Xavier Coppolani, Les confréries religieuses musulmanes, Alger 1897, p444.

ومن بين كراماتهم المزعومة أن الذين يتبعون هذه الطريقة لا يدخلون النار[1]، هذا وقد نسبوا إلى شيخهم الشاذلي زعامات تفوق الخيال، ومثال ذلك ما ذكر حين منع حاكم تونس الشاذلي من الخروج منها على إثر الشكوى التي قدمها كبير قضاة تونس إلى الحاكم، وأن موت جاريته واحتراف بيت الحاكم دون أن يشعر هي من الكرامات التي يحضى بها الشاذلي كما زعموا أنهم أعطوا ثلاثا لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعدهم:[2]

-أنهم مختارين في اللوح المحفوظ.

-أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو.

-أن القطب منهم إلى يوم القيامة.

**ب -كيفية الانتساب إلى طريقتهم:**

إن الانتساب للطريقة الشاذلية لا يتم إلا بالأخذ بمجموعة الشروط الأساسية، والتقيد بها يكن على أصل تتمثل في تعالية هي:

تقوى الله في السر والعلانية، أتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، الرضا عن الله في القليل والكثير، الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء.[3]

الأخذ بمجموعة أقسام هي: أخذ المصافحة التلقين والذكر، ولبس الخرقة الخاصة بهم، أخذ رواية أي قراء كتبهم من غير حل لمعاينتها، أخذ دراية، أي حل كتبهم لأدراك معانيها من غير عمل بها أخذ تدريب وتهذيب وترقى فيه الخدمة بالمجاهدة والمشاهدة الفناء.[4]

**ج -أذكارها:**

يلتزم أتباع الشاذلية بطريقة معينة للذكر وهي الاستغفار مئة مرة (أستغفر الله)، والصلاة على الرسول ﷺ مئة مرة (اللهم صلي علي سيدنا محمد النبي الأمي).

---

[1] صلاح (مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص15.

[2] فرق ومذاهب الطريقة الشاذلية، مجلة الراصد، ع42، ذي الحجة 1427هـ، الموقع الإلكتروني: http://www.alrased.nrt، بتاريخ: 2013/04/24.

[3] المرجع نفسه.

[4] Octave Depont, Xavier Coppolani, référense antécédent, p447.

الشاهدة مئة مرة (لا إله إلا الله) وذلك كل صباح ومساء، بالإضافة إلى حضور الحضرة مرة في الأسبوع على الأقل، وزيارة المقدم والحديث إليه مرة في الشهر على الأقل، ثم التوبة الدائمة طلب الغفران من الله، والرجوع إليه بكرة وعشية.[1]

### 3 ظهورها بالجزائر.

تعود الجذور الاولى لظهور الطريقة الشاذلية في الجزائر إلى عهد الموحدين، عن طريق أبو مدين الذي نزل بفاس ودرس بها، ثم اتجه إلى تلمسان التي لم يلقى تجاوبا من طرف أهلها في بادئ الأمر ثم لقي فيها متسعا وتبجيلا بعد أن رأى فيه أهلها الصلاح، كما كانت له جهة في بجاية بعد عودته من الأندلس، هته الأخيرة التي لقي فيها ترحيبا وشهرة واسعة.[2]

ومنذ أيام الموحدين عرفت الطرق الصوفية بصفة عامة الشاذلية بصفة خاصة انتشاراً واسعا فكانت الشاذلية في الجزائر تظهر في ربوع البلاد وتتفرع، بداية من سنة 658هـ/1258م[3] فتفرعت منها كل من الجازولية، الزروقية، اليوسفية، العيسوية، البكائية، الأحمدية (الكرزازية) الشيخية، الناصرية، الطيبية، الزيانية، الحنصالية، الحبيبية والمدنية بالإضافة إلى العروسية والبكرية ويعوذ كل فرع إلى مؤسس خاص تنسب إليه.[4]

كما لا ننسى الطريقة الدرقاوية التي كان لها ظهور قوي خلال العهد العثماني والتي كان مركزها الرئيسي في الورسيس وجنوب التيطري لها أتباع في غربي الجزائر، التي أبدت معارضة شديدة لسيلسة الأتراك أشعلت ثورة خطيرة في منطقتي قسنطينة ووهران بداية القرن19.[5]

وقد كان من العوامل الت ساعدت على إنتشارها السريع في الجزائر، النهج الذي رسمه شيخها أبو الحسن الذي قال عنه: "ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا يأكل الشعير والنخالة، لا ببقبقة الصناعة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في البداية".[6]

---

[1] أبو القاسم( سعد الله)، المرجع السابق، ج4 ، ص69.

[2] المرجع نفسه، ص70.

[3] يحي( بوعزيز)، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب مرجع سابق، ص216.

[4] Octave Depont, Xavier Coppolani, référense antécédent, p p 445-446.

[5] محمد خير( فارس)، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** دار الشرق، بيروت، (د.ت) ص78.

[6] عبد المنعم( الحفني)، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي مرجع سابق، ص320.

وعلى الرغم من الانتشار الذي عرفته الطريقة الشاذلية في الجزائر بكل فروعها إلا أنها لم تبرز بشكل كبير في العهد العثماني، فقد احتفظت بهذا الظهور لفترة الاستعمار الفرنسي الذي برزت بشكل قوي وكبير من خلال المعارضة التوجه السياسي ضد السلطة الفرنسية.

## المبحث الثالث: الطريقة التيجانية.

### 1 التعريف بمؤسسها:

أسسها أبو العباس أحمد بن المختار بن محمد التيجاني نسبة إلى قبيلة بني توجين التي استقرت قديماً بعين ماضي ومنها تنحدر السيدة والدته عائشة بنت أبي عبد الله محمد بن السنوسي التيجانية.

ولد الشيخ مؤسس هذه الطريقة في عين ماضي الواقعة بالقرب من مدينة الأغواط سنة (1150هـ/1737م) وفيها حفظ القرآن الكريم وتلقى علوم العربية والفقه المالكي، وبعد وفاة والديه في يوم واحد بسبب الطاعون الذي أصاب يومئذ تلك المنطقة غادر مسقط رأسه منتقلابين بوسمغول وتوات والأبيض سيدي الشيخ وتلمسان، وكان خلال تنقلاته هذه يتصل بالعلماء يأخذ عنهم ويستفيد منهم.[1]

نشأ أحمد التيجاني كريم الأخلاق مقبلا على الجد والإجتهاد، متمسكا بالدين وسنة المهتدين معظما عند العامة والخاصة، وبعد أن حفظ القرآن اشتغل سيدي أحمد التيجاني بطلب العلوم الأصولية والفروعية والأدبيةحتى برز فيها، وإستمر في طلب العلم ببلاده حتى بلغ مرتبة أهلته للتدريس والإفتاء قبل أن يرحل رحلته الأولى إلى فاس، ثم ما لبث وهو في عين ماضي أن مال إلى الزهد والإنعزال والتأمل، وحبب إليه التعبد وقيام الليل حتى إذا بلغ سن الرشد زوجه والده من غير تراخ إعتناء بشأنه وحفظا وصونا للأسره، وصار يدل على الله وينصح عباده وينصر سنة رسوله ويحي أمور الدين وقلوب المؤمنين، وصار يضرب المثل به وبداره في إحياء السنة وإتباع المحبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2]

لم يكتف سيدي أحمد التيجاني بالرصيد الفقهي والصوفي الذي حصل عليه بمسقط رأسه في المغرب الأوسط، فشد الرحال إلى مدينة فاس سنة1758م الوافق لـ1171هـ، وفاس هي المدينية الإدريسية ذات الأهمية العلمية والقداسة والرمز التاريخي والشحنة الروحية القوية، غادر سيدي أحمد التيجاني عين ماضي في أول رحلته إلى مدينة فاس وهو في بداية عقده الثالث، وخلال المدة

---

[1] صلاح (مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص116.

[2] أحمد( سكيرج)، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب**، المكتبة المغربية، ط1، المغرب 1964 ص11.

التي قضاها بها كان يحضر مجالس العلم ويحاور ويساجل كبار علمائها، إلا أنإهتمامه كان يبدو منصبا على الجانب الروحي أكثر من أي شيءأخر يشهد على ذلك نوعية الأشخاص الذين التقى بهم وشد الرحال إليهم داخل المدينة وخارجها.

إلتقى في مدينة وزان بالشيخ مولاي الطيب بن الشيخ محمد بن مولاي عبد الله بن برهيم اليملحي العلمي الوزاني، القائم آنداك بأمور الطريقة بالزاوية الوزانية، خلفا لأخيه الشيخ مولاي التهامي الوزاني، وقد كان مولانا الطيب – رضي الله عنه- ذائع الصيت، تشد إليه الرحال، وقد أذن له مولاي الطيبفي تلقين ورده، إلتقى بمدينة فاس الشيخ عبد الله العربي بن أحمد بن محمد المعني الأندلسي من أولاد معن، وتكلم معه في عدة أمور ودعا له ثلاث بأن يأخذ الله بيده، كما أخذ بالطريقة الناصرية على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله التراني.

أخذ الطريقة الصديقة المنسوبة للقطب الشهير أبي العباس سيدي أحمد الحبيب بن محمد الملقب بالغماري السجلماسي الصديقي، كما أخذ عن الشيخ الملامتي أحمد الطواش، نزيل تازة وطلب منه لزوم الخلوة والوحدة مع الذكر والصبر حتى يفتح الله عليه، وأخبره بأنه سينال مقاما عظيما، أيضا أخذ الطريقة القادرية بفاس ممن كان له الإذن في ذلك إلا أن أحمد التيجاني ما لبث أن تركها.[1]

إنتقل الشيخ أحمد التيجاني إلى بلدة الأبيض في ناحية الصحراء حيث زاوية الشيخ الصديقي الشهير الشيخ عبد القادر بن محمد الأبيض المعروف بسيدي الشيخ، فاختارها مترلا وقرارا وإنقطع فيها للعبادة والتدريس لمدة خمس سنوات من أوائل سنة1181 هجرية، جرد نفسه فيها من العلائق وجمع نفسه على الذكر وإعمال الفكر حتى لاحت عليه مبادئ الفتح والكشف والإلهام، وكانت تأتيه الوفود للزيارة والأخذ عنه، وقد زار خلال هذه المدة بلدة عين ماضي مسقط رأسه ودار آبائه وأجداده.[2]

عاد إلى مدينة تلمسان ومنها توجه إلى البقاع المقدسة عام 1186هـ/1772م لأداء فريضة الحج وفي طريقه اتصل بالصوفي الكبير والعالم الشهير محمد بن عبد الرحمن الأزهري وأخذ عنه الطريقة الخلوتية وفنون الحكمة، ثم واصل طريقه حيث حل بتونس فاتصل بشيوخها وأخذ عنهم

---

[1] أحمد (سكيرج)، مرجع سابق، ص13.

[2] المهدي (بن شهرة)، **الطرق الصوفية في الجزائر السنية**، دار الأديب، ط1، وهران، 2004، ص26.

وتابع طريقه إلى القاهرة التي نزل بها ضيفا على الشيخ المربي الكبير محمد الكردي العراقي الذي أذن له بتأسيس الطريقة وتلقين الذكر.[1]

ووصل بعد هذه الرحلة الطويلة إلى مكة المكرمة في شهر شوال عام 1187هـ/1773م) وزار المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأخذ من علمائها وفي مقدمتهم محمد بن عبد الكريم السمان الذي أخذ عنه أحزاب الشاذلي والوظيفة الزروقية ودلائل الخيرات والدور الأعلى بعد أن أخذ المسيحات العشر مشافهة عن شيخه محمد الكردي،وبذلك جمع التيجاني خلاصة الطرق الشاذلية والطيبية والرحمانية والناصرية.

وبعد رجوعه إلى الوطن من البقاع المقدسة نزل بتلمسان التي غادرها سنة 1782م، بسبب مظايقة باي وهران يومئذ عثمان وأخذ يسبح في الصحراء متنقلا من بلدة إلى أخرى، وقد اجتمع خلال تنقلاته هذه بالرحالة المغربي المعروف الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي صاحب الرحلة والمتوفي سنة 1833م الذي تحدث عنه في رحلته قائلاً: "إنه في سنة 1782م بالقنادسة ورد علينا رجل ينتمي للعلم والصلاح من شرفاء عين ماضي إسمه سيدي أحمد التيجاني، رفض سكن بلده بعد تطليقه زوجته وإنقطاعه للجولان شرقاً وغرباً وقدومه الآن كان من تلمسان مترعجا من بعض أمراء الترك بها رغم أنه أخذ عن السمان المدني وأجازه وأخذ العهد عن الكردي في مصر وتداكرنا معه في مسائل حتى إنجر الكلام بعدم تحسين الظن بمتمربطهالزمان..الخ" ولم يزل الشيخ التيجاني ينتقل من بلدة إلى أخرى إلى أن حط الرحال بقصر بوسمغون جنوب البيض وفيه أسس الطريقة التيجانية ووضع لها أسسها وبعد مضايقاته المتكررةمن طرف الباي عثمان بن محمد قرر الهجرة مع أهله وأتباعه إلى المغرب الأقصى، وإستقر به القرار بمدينة فاس حيث لازم جامع القرويين لتدريس علوم الشريعة به، ولا تزال السارية التي كان الشيخ يجلس إلى جوارها تدعى إلى يومنا هذا سارية الشيخ أحمد أبي العباس الماضوي التيجاني، وكان من أعماله التي قام بها بناء زاوية له بمدينة فاس بحي البليرة فاسي البالي.[2]

---

[1] صلاح (مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص116.

[2] نفسه، ص17.

**مؤلفات الشيخ أحمد التيجاني:**

- الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمدية التيجانية وهي شرح لقصيدة الهمزية للبوصيري في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم-.
- جواهر الحقائق في شرح الصلاة المسماة بياقوتة الحقائق والتعريف بحقيقة سيدي الحقائق.

كانت وفاته – رحمه الله- يوم الخميس 17 شوال (1230هـ الموافق لـ 21 سبتمبر 1815م) وشيعت جنازته في مدينة فاس حيث ضريحه في زاويته المعروفة بإسمه في حي البليرة تاركا ولدين هما محمد الكبير ومحمد الصغير.[1]

## 2 -تعاليمها ومبادؤها:

الإنخراط في الطريقة التيجانية يعني الإلتزم ببعض النوافل بعد إتمام الفرائض الشرعية تقرباً إلى الله بالعبودية له وحده، ومحبة في ذاته تعالى، وتطبيقاً لماورد في الحديث القدسي: «...ولا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمعبه وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وقلبه الذي يعقل به، بي يسمع وبي يبطش وبي يعقل وإذا سألني أعطيته ولئن إستعاذني للأعيذنه » وأهم شروط الدخول إلى الطريقة:

أ. دوام المحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والقيام بالأمور الشرعية.

ب. عدم وقوع المقاطعة بينه وبين جميع الخلق لا سيما بينه وبين اخوانه.

ت. احترام العلماء والصالحين والشيوخ ومن إنتسب إليهم.

ث. إعتقاد عقائد أهل السنة والحديث النبوي والإلتزام بالمذاهب الفقهية.

ج. عدم الأمن من مكر الله تعالى الممات.

ح. مداومة الإلتزام بالورد إلى الممات.[2]

والأوراد في الطريقة التيجانية ثلاث:

أ. الورد المعلوم الذي يذكره المريد مرتين في اليوم، مرة في الصباح، ومرة أخرى في المساء وفيه: 100مرة استغفر الله، و 100مرة من الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم- وبأي صيغة كانت، وإن كانت بالفاتح فهي أولى، و100 مرة من لا إله إلا الله.

---

[1] صلاح (مؤيد العقبي)، مرجع سابق، ص118.

[2] عبد الباقي( مفتاح)، **أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه**. (د.ط)، (د.ت.ط)،(د.م)، ص160.

ب.ورد الوظيفة: تقرأ مرة أو مرتين جماعة أو فردى، ليلا أو نهاراً وأذكارها: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم 30 مرة بعد الإستعادة ثم 50 مرة الصلاة على النبي بقول الفاتح لما أغلق. و 100 مرة لا إله إلا الله و 12عشر مرة جوهرة الكمال، وهي الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا تقرأ إلا بالطهارة المائية لخصوصيات فيها.[1]

ومن الشروط أيضاً نذكر:

- عدم زيارة الأولياء الأحياء والأموات مع تعظيم حرمتهم.
- الإنفراد وعدم جمعها مع طريقة أخرى.
- طاعة الوالدين وعدم التهاون بالورد وتأخيره عن وقته.[2]

لذا فحين تستقرئ مبادئ هذه الطريقة وكيفية تلقينها للمريد تلخظ من الوهلة الأولى هذه الروحانية العالية والرقي الإجتماعي والسلوكي في تلك الشروط والأوراد والعهود المقدمة للمريد منها الحفاظ على فرائض الدين وبر الوالدين والمواضبة على الأذكار المتواصلة بالله، وبالتالي تقويتها للروابط الثلاثة: رابطة الإنسان بربه (بالعبادة والذكر، ورابطة الإنسان بنفسه بالمراقبة والمجاهدةوالتزكية "قد أفلح من زكاها"، ورابطة الإنسان بغيره ومحيطه (طاعة الوالدين وصلة الرحم والإحسان للجار...)وبالتالي تفعيل الحياة الإجتماعية وتزكيتها وترشيدها إنسجاما مع مبادئ وتعاليم الشرع الحنيف.[3] لذا فالطريقة التيجانية بتعاليمها البسيطة ومذهبها الواضح الذي كان قريبا من التفكير العامي السائد آنذاك، وكانت لها أهمية إجتماعية وسياسية خصوصاً في عهد الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن يستغل نشاط الطرق الصوفية وتأثيرها الروحي لتحقيق أغراضه.[4] إذن إذا تتبعت شروط الدخول في الطريقة وتدبرت معانيها عرفت أن قبول تلقيتها مرهون بالإلتزام المريد بالمحافظة على الصلاة في الجماعة والتقوى في السر والعلنية والمحافظة على الشريعة والمجاهدة النفسية بقدر الإستطاعة.[5]

---

[1] خالد إبراهيم( وصيف) ، **نشأة الطريقة التيجانية وتطورها**، مقال ألقاه بالملتقى الدولي للإخوان التيجانيين،الأغواط 2006.

[2] المرجع نفسه.

[3] إحسان بعدراني، **منهج الطريقة التيجاني في التربية**، مقال ألقاه، بالملتقى الدولي للإخواني التيجانيين، الأغواط، 2006

[4] عبد العزيز( شهبي)، مرجع سابق، ص139.

[5] خالد إبراهيم( وصيف)،مرجع سابق.

## 3 -ظهورها بالجزائر:

إن الموطن الأم للطريقة التيجاني هو الجزائر فقد ولد مؤسس الطريقة بعين ماضي التابعة حالياً إلى ولاية الأغواط بالقطر الجزائري، سنة ( 1150هـ/1737م)كما سبق ذكره، وفيها تعلم ومنها إنطلق سائحا في الأرض طالبا العلم وناشراً له، إلى أن وقع له الفتح والكشف وأذن له بتلقين هذه الطريقة، وكان ذلك في عام 1196هـ في قرية "أبي سمغون" قرب الشلالة بولاية البيض بالقطر الجزائري، جاء في جوهر المعاني "ثم رجع إلى قرية أبي سمغون وأقام بها وإستوطن وفيها وقع له الإذن منه يقظة لا مناما بتربية الخلق على العموم والإطلاق".[1]

ومن هنا كانت بداية الإنطلاق لإنتشارها في أرض الجزائر، وخارجها فأخذت الطريقة تنتشر في مسقد رأسه بعين ماضي بين آل بيته وذويه، ثم بدأ هذا الإنتشار يعم مناطق كثيرة في الصحراء الجزائرية خاصة، ثم بقية المناطق الأخرى في أرض الجزائر.

وقد قام أبناء وحفدة الشيخ أحمد التيجاني رحمهم الله جميعاً بجهد كبير في نشر الطريقة وتلقينها منهم الابن الأكبر للشيخ أحمد التيجاني محمد الكبير وأخوه الشيخ محمد الحبيب، ثم الشيخ أحمد عمارة بن الشيخ محمد الحبيب حفيد الشيخ المؤسس، الذين كان لهم الدور الكبير في حمل لواء الطريقة والحفاظ على تماسك الأمة، ورفض كل أنواع الظلم والمهانة.[2]

أما عن منطقة تماسين فقد كان هناك الخليفة الحاج علي التماسيني رحمه الله حيث إلتقى الشيخ أحمد التيجاني رحمه الله بعين ماضي سنة 1204هـ/1789م و أذن له بتأسيس الزاوية سنة 1217هـ/1803م بتماسين.

وقد عرفت زاوية تماسين برفع لواء العلم وجلب كبار العلماء إليها للتدريس والتعليم منذ خلافة الشيخ الحاج علي التماسيني وإستقراره بتماسين، هذه الزاوية المدرسة كانت تقوم بواجباتها في تحفيظ الطلاب كتاب الله وذلك منذ تأسيسها فضلا عن علوم السنة والفقه والتفسير واللغة العربية ونحوها.[3]

---

[1] علي حرازم (برادة)، **جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني** ، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1997، ص34.

[2] عبد القادر (بوعرفة)، مرجع سابق، ص10.

[3] أبو القاسم( سعد الله،) مرجع سابق، ج4، ص219.

أما أورده رضي الله عنه:تعتبر سنة ( 1777-1778م) بداية لنشر الطريقة الصوفية التيجانية، وذلك إنطلاقا من مدينة فاس المغربية، التي كان التيجاني قد عاد إليها مرة ثانية ومكث ما يقارب 18 سنة داعيا إلى مذهبه في المناطق الصحراوية الفاصلة بين توات والسودان الغربي وتونس ولنشر طريقته عمد التيجاني إلى تأسيسزاوية فيكل مكان يحل به وعين لها مقدما يأمره بنشر طريقته، وقد أسس زاويته الأولى بفاس سنة 1215هـ في حي البليرة (أوحومة البليرة) وقبل تأسيسها كان الناس يجتمعون به أمام داره أو في بعض مساجد المدينة، وقد سلكت التيجانية تقريبا نفس الطريق الذي سلكه قبلها القادرية، التي سبقتها في الظهور، وأتخذت من الجسر الذي أقامته هذه الأخيرة بين العالم الإسلامي وغرب إفريقيا معبراً للمنطقتين، وقد نظر إليها الناس بعين ملأها الرضى خلال القرن 18م، إمتازت التيجانية بتعاليمها البسيطة ومذهبها الواضح السائد آنذاك في جميع أنحاء العالم الإسلامي.[1]

وعلية لقد تعددت الطرق الصوفية في الجزائر أواخر العهد العثماني، كثر أتباعها ومريدوها خاصة من المجتمع الجزائري نظراً لما وجدوه فيها من مودة وتسامح ومعاملة.

[1] عمار (هلال)، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء** ط1، وزارة الثقافة الجزائرية، 2007، ص122.

# الفصل الثالث

## تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال عهد الدايات

المبحث الأول: التأثير السياسي.

1 -الطرق وعلاقتها بالمجتمع الجزائري.

2 موقف الطرق الصوفية من الدايات.

المبحث الثاني: التأثير الاجتماعي للطرق الصوفية.

1 -التأثير الإيجابي.

2 -التأثير السلبي.

المبحث الثالث: التأثير الديني والثقافي للطرق الصوفية على المجتمع الجزائري.

1 - التأثير على المجتمع الجزائري.

2 - التأثير على الأتراك

**تمهيد :**

وافق دخول الأتراك إلى الجزائر انتشار الطرق الصوفية وازدادت سيطرتها على المجتمع الجزائري، الأمر الذي أدى إلى بروز مشائخ هذه الطرق وسيطرتها على عقول المجتمع،كما احتضنته بكل فئاته وكانت الممثل الوحيد الذي وجد فيه المجتمع ضالته، وشكى لها همومه وأحزانه نظرا لما لقيه السكان من تهميش واحتقار، من طرف البايات وقد لمس تأثيرها جوانب عدة منها السياسي والاجتماعي والثقافي والديني،وهذا ما سنتطرق إليه من خلال هذا الفصل.

## المبحث الأول: التأثير السياسي.

### 1 -الطرق وعلاقتها بالمجتمع الجزائري.

لقد كانت الطريقة الصوفية والزوايا سلطة قوية وبذلك لما تملكه من مال وأتباع وسلطة روحية على المجتمع الجزائر، سواء في تركيبته المحلية المتمثلة في السكان الأصلين قبل مجيء العثمانيين، أو بعد إمتزاجه بالعنصر التركي الذي أصبح فئة من فئات المجتمع الجزائري بكل عناصر لذل وجب التطرق إلى علاقة الصوفية بالمجتمع الأصلي أي الجزائريين، ثم التطرق إلى العنصر الذخيل وهم الأتراك، ثم علاقة السلطة بالمجتمع.

**أولاً: علاقة الطرق الصوفية بالمجتمع الجزائري:**

لقد كان للطرق الصوفية نفوذ وسلطة كبيرة على المجتمع الجزائري الأصلي، إذ تمكنت من جمع العديد من القبائل حولها، فكانت تشعر الأتباع والناس عموما بالمصير المشترك كلما داهمهم الخطر "فكان المرابطون الطرقيون يعتمدون على أنفسهم في الدفاع عن أراضيهم، لذالك كانوا يتولون القيادة بأنفسهم، ويوجهونها روحيا بإصدار الأوامر إلى أهل المدن".[1]

لذا فقد إنشر التصوف في الجزائر إنتشرفي المدن قبل إنتشاره بالأرياف، ذلك أن معظم المتصوفة ظهروا في المدن الكبيرة مثل بجاية وتلمسان ووهران وقسنطينة، ولكن الفساد، وإنعدام الأمن إنتقل هؤلاء المتصوفة ومريدوهم إلى دواخل البلاد وأسسو أتباعهم في الأرياف.[2]

إن التطور الذي شهدته الطرق الصوفية التي فرضت نفسها على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ القرن 19م على وجه الخصوص كان عاملا من عوامل تأزم العلاقة بين السلطة والعلماء، خاصة بعدما أصبحت مركزا فكريا وقوة روحية لجيمع سكان الريف.[3]

عملت هذه الطرق على دمج العنصر البربري مع العنصر العربي كما أنه وبفضلها تم صهر القبائل في وحدات اجتماعيية.[4]

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق،ج2، ص460

[2] نفسه، ج2، ص468.

[3] Soudaun Nacer-edine, l'lgéraus rual a la fin de lépoque attamant (1791-1830), dar-el-ghard elislami, beyrouth, 2001,p 307.

[4] صلاح (العقاد)، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**، دار النفائس، ط1، بيروت،1986، ص30.

وأمام الأوضاع المتأزمة التي مرت بها الأيالة من مجاعة أوبئة وتقهقر الإقتصاد، عملت الزوايا على مواجهة الأزمة، وإستغل القائمون عليها الظروف، وتنصبوا كحاملي الراية الشرعية والاجتماعية والسياسية.[1]

لذا فقد تجلت الحركة الصوفية أواخر العهد العثماني في ثوب جديد حيث كانت تهدف إلى تحقيق تجانس بين القبائل التي إنضمت إليها، الواحدة تلو الأخرى من أجل التخلص من ثقل البايلك، وقد إنضم حتى المرابطون الأحرار وأصبحو أتباعا لها لا يعملون إلا لصالحها، ولهذا فإن توسع الطريقة الصوفية لم يقتصر على عدد الأتباع بل على مذهبها وتنظيمها وتكيفها مع الظروف.[2]

لذ فقد وقع الإلتقاء بين المتصوفة والمجتمع في مواجهة السلطة، فتموقعوا في نفس الخندق فرض عليهم الأمر فرضا، ووجدوا أنفسهم في نفس الجهة، يقاومون الظلم والتعسف والتميز، وهو ربما يفسر لنا سر هذه العلاقة بين العامة والمتصوفة قبيل الوصول إلى مبدأ الكرامة وسلطة الأولياء على أفكار العامة وخيالهم، وسعى الصوفية إلى حل مشاكل المجتمع وإتحد الاثنان في مواجهة السلطة، فقامو بمواجهة الظلم والطغيان والفساد، ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا اختارت الفئات الواسعة من المجتمع الإنضمام والإنتماء إلى هذا الاتجاه الفكري في حين كان حكامها يتخدون مذهبا أخر أو يعتنقونه، فكان الصوفي فردا من مجتمع الناس.[3]

لذا فالمتصوفة أو رجال الطرق الصوفية مثلوا الرأي العام بالجزائر، فصلتهم بالمجتمع كانت عن طريق الدروس ومنهم من كان يجلس في المقاهي، ويختلط بالناس، فيكثر عليه الناس والعطيه فيلفت نظر السلطة فتخشاه.[4]

هذا وحظيت هذه الفئة بالاحترام والتقديرمن طرف المجتمع، خاصة طلبتهم، حيث كان أساس علاقتهم الاحترام المتبادل بينهم لتفانيهم في خدمة العلم والثقافة، لذا كانوا محل إجلال وتقدير.[5]

---

[1] FILALI, Kamel, "Saintété marapoutique et nysticiane, canti*riputain à l'etule du naurement maraboutque en Algérie soun la doninationattanane" in isanyyat n°3, 1997,p138.

[2] IPID, p 137.

[3] عبد المنعم( القاسمي) الحسني، **عن التصوف والصوفية بالجزائر**، موقع الشهاب للإعلام Htp://www.chihab.net/modules.php ?nome=neus&file=articlesid=1548.

[4] أحمد (سليماني)، **تاريخ مدينة الجزائر**، د.م.و.ج، ط1، الجزائر، 1986، ص17.

[5] أحمد علي الراشدي (إبن سحنون) مصدر سابق، ص234.

بما أن الأتراك لم يهتموا بالتعليم والتوجيه فسياستهم مع المجتمع كانت سلبية إذ تركزت على جباية الضرائب فقد، ومن هذا المنطلق عمل المرابطون على ملأ الفراغ السياسي والثقافي خاصة في المجتمع الريفي، الذي عاش في عزلة عن الإدارة التركية فوجد الأهالي في المرابطين بديلا لهم عن الأتراك في التعليم والتوجيه رغم ما يقدمونه لهم من الهدايا وعطايا أثقلت كاهلهم.[1]

هذا وقد كان المرابطون والأشراف في قمة الهرم الاجتماعي خاصة بمنطقة القبائل، حيث كان المرابط يحظى بإحترام وطاعة عمياء من طرف المجتمع تستمر حتى بعد مماته [2]، لدرجة أن شاع الإعتقاد لدى الناس بقبول دعوة المرابطون عند الله، وأن سعادة الفرد تتوقف على سخط أو رضى المرابد حتى وصل الأمر بهم إلى تقديم القرابين له حتى تتحقق أمانيهم، وتجلى دور المرابطين في شرح وتفسير الأخلاق للناس وتعليمهم الصلاة ومكارم الأخلاق.[3]

لذا فقد كان تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري واضحاًلكنه بمختلف من طريقة غلى أخرى بحسب الطريقة ونشاط شيخها بالإضافة إلى المحيط البيتي الذي ظهرت فيه كل طريقة وكيف ينظر إليها المجتمع، ومدى علاقتها مع السلطة الحاكمة من جهة أخرى.[4]

ومنه يمكن أن نقول أن الطرق الصوفية كانت علاقة وطيدة مع المجتمع، وقد لقيت فيه مساندة منقطعة النظير، هذا ما جعل السلطة الحاكمة تبدي خوفا منهم نظراً لنفودهم الواسع على المجتمع وخاصة معرفتها أن هناك من رجال الصوفية من عارض حكمهم في الجزائر، الأمر الذي إستوجب عليهم محاولة كسب هذه الفئة من الرجال الصوفيين إلى صفها بشتى الطرق والوسائل، وهذا ما سنحاول التعرض إليه في ما يلي:

**ثانياً: علاقة الطرق بالأتراك:**

بإعتبار أن الأتراك أصبحو فئة للمجتمع الجزائري وبحكم التأثير والتأثر الناتج بين العلاقات القائمة بين الفئتين التركية والجزائرية فإنه منالطبيعي أن يكون هناك إنجذاب الفئة التركية للطرفين

---

[1] محمد الطاهر (الفيلالي)، **نشاة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني** ، دار الفن القرافيكي ط1، الجزائر، 1976، ص30.

[2] Liarel, jules, kadylie du jurjura, eleraux, Paris, 1892/p 1451.

[3] حمدان بن عثمان (خوجة)، مصدر سابق، ص57.

[4] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص136.

وأن الطرق الصوفية ليست بالأمر الجديد عند العثمانيين فقد كان سلاطين الدولة العثمانية متأثرين بالتصوف، فقد كان سلطان قسنطينة حاميا للطريقة القادرية في المشرق.[1]

لذا سعى العثمانيون للبحث عن حلفائهم ضمن فئات المجتمع يؤمنون أكثربفكرتهم الجهادية فوجدو رجال الدين أو العلماء.[2]

لذا فعني بالذكر أن علاقة الحكام برجال الدين كان يدعمها إلى غاية 1792 الجهاد ضد التواجد الإسباني، ذلك أنه إلى هذا التاريخ لا زالت وهران تحت الهيمنة المسيحية وكانت قضايا الجهاد وخاصة تحرير وهران هو العامل المشترك بين الحكام من جهة والأهالي خاصة العلماء منهم من جهة أخرى، لذا فشعبية الداي أو الباي كان يحددها اهتمامه وعزمه على تحرير مدينة وهران[3]، وبما أن الجهاد كان يمثل القضية الأولى في اهتمام العلماء ورجال الدين الذين شاركوا في الجهاد أفراد وجماعات وخاضو معارك، ونظمو أشعار لإلهاب حماس الناس.[4]

لقد كان العثمانيون يبجلون العلماء والمرابطين لذا فالعلاقة التي ربطتهم بعلماء الجزائر ليست جديدة عليهم، فكانت راسخة فيهم، حيث حملوا معهم هذا الشعور والإحساس إلى نيابة الجزائر، بحيث كانت الطرق تقودهم وتؤثر فيهم وتحميهم وتدفع بهم نحو الجهاد، أما هم فكانو يدينون لرجالها بالولاء ويتبركون بهم، وينظرون إليهم نظرة المريد إلى شيخه والعبد إلى سيده.[5]

لهذا فمن الطبيعي أن العلاقة التي ربطت العثمانيين بعلماء وأولياء الجزائر تعكس لنا ما كان بإسطنبول، حيث كانت الغنكشارية على علاقة وطيدة بالدراويش خاصة المولوية والبكداشية.[6]

لذا فقد إستمر العثمانيون بعدما حلو في الجزائر لممارسة عقائدهم الدينية التي مارسوها في إسطنبول، فنجدهم يزورون الأولياء طلبا للنصر، والبركة، وكانو يطلقون طلقات مدفعية عند

---

(1) محمد الامين (بلغيث)، **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي** ، أنتير سبيني، ط 1، الجزائر، 2007، ص ص 95، 96.

(2) أبو القاسم( سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص191.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص196.

(4) يحي (بوعزيز)، **أعلام الفكر الثقافي في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيرووت، 1995، ص230.

(5) أبو القاسم( سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص191.

(6) المرجع نفسه، ص186.

ذهابهم وإيابهم تبركا وإحتراما لهم[1]، وقد بلغ إعتقاد العثمانيين في رجال الدين خاصة المرابطين إلى حد كانوا لا يلاحقون أي جان إذا فر إلى أحد أحد الأضرحة خوفا مما قد يلحق بهم.[2]

ومنه فإن العثمانيين بالجزائرعامة كانوا يبجلون المرابطين ورؤساء الطرق ويؤمنون بمعتقداتهم التي تميل إلى الخرافة أكثر منها إلى المنطق، فحتى الذين عرفو منهم بميولهم الثقافي اعتنقو التصوف وصدقوا هذه الإعتقادات منهم صالح باي الذي ورغم تدعيمه للحياة الثقافية كان يؤمن بالخرافات حيث أنه بعد قتله المرابط "محمد الغراب" خاف سوء طالعه، فبنى له ضريحا بقبة جميلة.[3]

أما الباي محمد الكبير وبالرغم من إستنارته وثقافته فقد أخذ القادرية عن جده الأمير عبد القادر وبقي في خدمته سعيا لإرضائه.[4]

ونتيجة للإعتقادات التي حملها العثمانيون معهم فقد بالغو في تعظيم العلماء خاصة المرابطين وإطمئنوا لهم وتبركو بهم وإستشاروهم في عدة أمور سياسية، كما أطلعوهم على خططهم.[5]

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن عامل الجهاد وإدراك العثمانيين أنهم غرباء عن الجزائر إضافة إلى العقيد الصوفية التي حملوها معهم دفعت بهم إلى البحث عن حلفاء لهم في الجزائؤ ضمن فئات المجتمع، فكانوا رجال الدين والعلماء.[6]

ومن أشهر الطرق التي كانت لها حضرة واعتبار لدى الحكام الطريقة القادرية والرحمانية فالقادرية تعد أول طريقة ظهرت في العالم الإسلامي وكما قلنا فهي تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني[7]، لذا فقد أدرك العثمانيون أن أقرب الناس إليهم هم رجال الدين والتصوف فقد عملو بكل الطرق والوسائل المادية والمعنوية.

---

(1) كورين (شوفالييه)، **الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر ( 1510–1541م)**، تر: جمال حمادنة، ط 1، الجزائر 1991، ص87.

(2) حمدان (خوجة)، مصدر سابق، ص111.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، مرجع سابق، ج1، ص220.

(4) محمد( بن عبد القادر )الجزائري ، **تحفة الزائرفي تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر** ، شر وتع: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1964، ج1، ص113.

(5) أبو القاسم (سعد الله) ،مرجع سابق، ج1، ص464.

(6) المرجع نفسه،ج1، ص 191.

(7) عدنان (حقي)، **الصوفية والتصوف**، دون دار الطبع، ط2، دمشق، 1982، ص155.

إن استغلال العثمانيين للمرابطين من أجل بسط نفوذهم على الأهالي وضمان تبعيتهم لهم كان عائقا دون قيام وحدة وطنية [1]، وهو الأمر الذي حرص العثمانيين على عدم تحقيقه طوال مدة تواجدهم بالجزائر منتهجين في هذا سياسة التفرقة بين القبائل، وهذا بتقسيمها إلى قبائل متعاونة مخزنية أو مرابطية لها إمتيازات، وقبائل غير متعاونة معهم تدفع الضرائب وتتعرض لتعسفات الجند خاصة أثناء الحملات.

لذا فالبرغم من أن الظروف الداخلية للجزائر كانت كلها في صالح العثمانيين لتشكيل حكومة ذات صبغة وطنية بإمكانها الصمود أمام الأخطار الخارجية والداخلية، لكنهم لم يستغلو الأوضاع لصالحهم بل وضعوا وسائل من شأنها أن تزيد التباعد بين فئات المجتمع.[2]

ومنه فإن دراسة علاقة الحكام برجال الطرق خلال فترة حكم الدايات خاصة منذ عام 1792م بعد استرجاع مدينة وهران من الإسبان تكتسي أهمية بالغة لأنها تساعدنا على فهم الإضطرابات التي شهدتها البلاد والتي لعب فيها خاصة رؤساء الطرق الصوفية دوراً هاماً.

ومنه فإن التحالف الطبيعي الذي أشرت إليه لم يتواصل إلى نهاية الوجود العثماني بل حدتث تغيرات جدرية حالة دون إستمرار الإعتماد على رجال الطرق خاصة فيما يتعلق بالوساطة بين السكان، ومن هنا نتسائل حول الأمر الذي أدى إلى التوتر والقطيعة بين الحكام ورجال الطرق خاصة بعد تحرير وهران، بعدما كان رجال الدين في صف العثمانيين.

لذا فقد لعبت عدة عوامل في تأزم العلاقة بينهما ومنها.

**-السياسة الضريبية:**

ومنه فالسبب الأول لهذه الفترة هو تقهقر القرصنة (الجهاد البحري) الذي ترتب عنه ضعف في موارد الدولة وبالتالي مداخيل الخزينة.

هذا التغير كان نتيجة تغير الظروف الدولية وإنقلاب موازين القوى، فقلت الموارد البحرية الجزائرية التي لم تجد مصدراً ثانياً يمول الخزينة.[3]

---

[1] محمد الطاهر( الفيلالي)، مرجع سابق، ص29.

[2] محمد خير( فارس)، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** ، دار العصر الحديث للنشر، ط 1 بيروت، 1992، ص206.

[3] نصر الدين (سعيدوني)/ المهدي (البوعبدلي)، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، م.و.ك، ط1، الجزائر، 1984، ص38.

حيث كانت القرصنة تمثل نصف مداخيل الخزينة من الغنائم والرسوم المفروضة على الدول الأوروبية من أجل حق ممارسة الملاحة في البحر الأبيض المتوسط.[1]

لذا فحتى القرن 18م فالقوة المالية للجزائر كانت ناتجة من الغزو البحري، ومع بداية هذا القرن بدأت السلطة تثقل كاهل السكان بالضرائب، فخلال هذا القرن قلت غنائم البحر بحوالي مئة فرنك فرنسي، كما تقلص عدد السفن إلى 24 سفينة سنة 1724م، إلى ثمانية مراكب صغيرة وغليوطتين صغيرتين عام 1788م.[2]

ونتيجة لهذا التقلص والإنخفاض في الموارد البحرية، توجه اهتمام الحكام نحو الداخل وذلك لتوفير احتياجاتهم المالية[3]، وهذا ما يؤكده "بن هطال" الذي ذكر أن السبب الرئيسي لتوجه الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي هو إخضاع القبائل في جهة القبلة التي تطلها يد السلطة وقد أشار إلى هذا بقوله: "رأي أنها ذات بلدان كثيرة، وأعراب راحلة ومقيمة غزيرة، إلا أنها لم تطلها أيدي السلطة و لم يكن منها للملك مصلحة ولا منفعة معينة".[4]

إذن من خلال ما قلنا حو علاقة السلطة برجال الدين كانت قبل فتح وهران علاقات جيدة، لكن بعد الفتح ونقص عائدات البحر وتوجه السلطة إلى الأهالي بفرض الضرائب الباهضة لتعويض هذا النقص سبب هذا الحدث القطيعة والتوتر بين السلطة ورجال الدين خاصة منذ حكم الدايات التي توثرت فيه العلاقة، ووقفت الطرق إلى صف الأهالي ودفعت بهم إلى الجهاد والإنقلاب ما إنجر عنه عدة تمردات وثورات سنتعرف عليها، وكيف كان رد السلطة لردع هذه الثورات وإخمادها.

---

(1) De Grammont, Henri, **Histaire D'Algérie sous le domination Turque (1515-1830)**, E leraux,Paris, 1887 p183.

(2) شارل أندري (جوليان)، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تع: مزالي محمد بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس 1978، ص 289- 290.

(3) حسن (مؤنس)، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي** دار العصر الحديث للنشر، ط1، بيروت، 1992، ج3، ص360

(4) أحمد التلمساني (ابن هطال)، **رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي** تحك محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب ط1، القاهرة،1969، ص 36، 37.

**ثالثاً: علاقة المجتمع بالأتراك (السلطة الحاكمة)**

بعد التعرف على علاقة الطرق بكل من المجتمع الجزائري، أي السكان الأصليين، وأيضا العرف على علاقة هذا الطرق بالسلطة الحاكمة، وجب التعرف على العلاقة بين السكان والحكام الأتراك خاصمة خلال عهد الدايات، لأن هذه المرحلة تميزت بإتساع الهوة بين الحكام والمحكومين، ذلك أن الجزائر قد استكملت حريتها من الاحتلال الإسباني، وتوقفت حركة الجهاد وتقلص معها النشاط البحري وتزامن كل ذلك مع سنوات القحط التي أضرت بالزراعة في هذه المرحلة، ومنه لم يمثل الحكم العثماني كيانا متجانساً، فأغلبية السكان كانوا مهمشين فبعض القبائل لا تربطها بالسلطة سوى دفع الضرائب التعسفية[1]، هذه القبائل التي أطلق عليها اسم "الرعية" طبقت عليها قوانين الحرب الإسلامية التي تقع على بلد غير مسلم بعد فتحه. [2] وأهم ما ميز الطبقة الحاكمة هو أنها كانت خليطاً غير متجانس عرقيا، فقد كانت عبارة عن أجناس مختلفة (أتراك يونانيون، مالطيون) [3]، لا تربطهم أية صلة أو روابط بالبلد ولا عادات شعبه وهو الشيء الذي دفعهم إلى إرتكاب فضائح وممارسة الظلم والقسوة إتجاه الرعية.[4]

كان هدف الدايات الإستبداد بالسلطة وجمع الاموال، وليس الرقي والإزدهار الحضري [5]، لهذا إرتكزت علاقتهم بالأهالي على أسلوب تسيير إستمدوا تنظيماته الموروثة من التنظيمات العثمانية المرتكزة على:

- إقرار الأمن والهدوء والطاعة ولو باستعمال القوة.
- ضمان إستخلاص الضرائب ولو بطرق تعسفية.
- الحفاظ على وضع اقتصادي اجتماعي يضمن إمتيازات الطبقة الحاكمة، ونفوذ المتعاونين معها على حساب غالبية السكان.[6]

---

[1] Vatin, Jean-Cloude,A'Lgérie potitique Etsociété, Arnoult colin, Paris, 1974, p102.

[2] أبو القاسم( سعد الله)، مرجع سابق،ج1، ص211.

[3] العربي (الغالي)، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، رسالة ماجستير، (غير منشورة) قسم التاريخ كلية الآداب،جامعة دمشق، 1988، ص167.العربي (الغالي)،"الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك"، **مجلة دراسات تاريخية**، العدد23، 26،1986، ص93.

[4] عبد الجليل (التميمي)، العرب والأتراك في إطار الدولة العثمانية، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد17،18، 1980، ص 91.

[5] العربي (الغالي)،"الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك"، **مجلة دراسات تاريخية**، العدد23، 26،1986، ص93.

[6] نصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000/ ص174.

وإنطلاقاً من هذا المبدأ عمل الحكام على إبقاء الأهالي بعيدين عن أية مساهمة في أمور الدولة وهو ما حال دون إندماجهم في الأوساط الشعبية وهذا رغبة منهم في إبقاء هيمنتمم وسيطرتهم على المناصب الحكومية.[1]

وبسبب إفتقار الحكام إلى سند يؤزرهم أحاطوا أنفسهم بالحذر والخوف من السكان خشية أن ينتزعو منهم السلطة، فاحتكروا المناصب والوظائف السامية.[2]

وكان العثمانيون يرفضون فكرة المساواة مع الأهالي بسبب تفكيرهم الذي يعتقد أنهم ولدوا ليحكموا ويسيروا[3]، لذا فبسبب سياستهم المجحفة ضد الأهالي إتسمت العلاقة بينهما بالنفور وعدم الثقة والعداء لأن الرعية كانت محل إستغلال من طرف الحكام من دفع الضرائب والغرامات معتمدين في هذا على أسلوبين للسيطرة على الرعية حيث:

-عملو على التقارب والترضية والمهادنة مع رجال الطرق وشيوخ الزوايا نتيجة لنفوذهم الروحي على الرعية.

-إعتمدو على قبائل المخزن التي مثلت أداة بطش وتأذيب لأي محاولة تمرد وإسغلال من طرف الرعية.[4]

ومرد هذا إلى إفتقار العثمانيين بالجزائر إلى تصور واضح تعمل على كسب السكان والإندماج معهم، لكنهم تخوفوا منهم وإحتقروهم وإبتعدو عنهم وهو ما زاد حقد الرعية ضدهم خاصة بعدما فرضو عليهم الضرائب الجائرة [5]، وبالتالي ففكرة التضامن الإسلامي التي إعتمدها العثمانيون لبسط نفوذهم في الأوساط الشعبية بالتقرب إلى مرابطيهم وشيوخ الزوايا، لم تمكنهم من وضع أسس متينة للإحتكاك بالرعية، لأن هؤلاء سرعان ما شكلوا أرستقراطية ذات أصول طبقية، كما أن الحكام العثمانيين لم يعملو على دمج التنظيمات الاجتماعية من جماعة ومشيخات

---

[1] العربي (الغالي)، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، مرجع سابق، ص94.

[2] وليام( شالر)، مذكرة قنصل أمريكا (1816-1824)، تر، تح: إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، ط1، الجزائر، 1982، ص 46، 47.

[3] المرجع نفسه،ص54.

[4] العربي (الغالي)، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، مرجع سابق، ص57.

[5] محمد العربي (الزبيري)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال ( 1830-1972)،، م.و.ك، ط 2، الجزائر 1984، ص24.

ومرابطين في نظام واحد وموحد، ولهذا كان حكمهم بعيداً عن أحوال الناس، حيث قلت ثقة الشعب فيهم لأنهم راعوا مصالحهم وامتيازاتهم بالدرجة الأساسية.[1]

## 2 موقف الطرق الصوفية من الدايات.

لقد كان بإمكان الحكام العثمانيين التعاون مع السكان إشراكهمهم في تسيير شؤون بلدهم، لكنهم إنعزلو عن القاعدة الشعبية وإستخفوا عن مساعدتها حفاظاً على إمتيازاتهم.[2]

فعملوا على وضع وسطاء بينهم وبين الرعية متمثلين في العلماء منهم شيوخ الزوايا الذين كانوا في بداية الأمر وراء تعبئة الناس للجهاد ضد الخطر المسيحي الذي كان أكبر عامل وطد علاقة العثمانيين بالعلماء، لكن بزوال هذا الخطر ومع تدهور الظروف الاقتصادية للجزائر تغيرت سياسة الحكام التي وجهت إهتماما للمناطق الداخلية من أجل إيجاد مصادر دخل بديلة عن مغانم الجهاد البحري.[3]

لقد اتسمت سياستهم بالتعسف وإرهاق كامل الناس بالضرائب الأمر الذي أدى إلى ظهور حركات تمرد تزعمها شيوخ الطرق الصوفية التي إزداد نفوذها وخطورتها خاصة بعدما لم يجد النظام بد من نقض عهده معهم بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة، فهمشوهم وحاولو إستغلالهم مثل بقية الرعية،لكنهم تمردوا وحرضوا الأهالي ضدهم[4]

كما وأن الحركات التمردية التي ظهرت قامت بدوافع دينية، الأمر الذي ساعدها على تجنيد الأهالي ضد السلطة العثمانية، لأنها كانت ترى أن المبادئ الدينية تقتضي تطبيق المساواة لا التمييز الذي فرضه العثمانيون خاصة بعد تواطئهم مع التجار الأوروبيين واليهود لهذا رؤوا أن الثورة ضد العثمانيين شرعية وجب القيام بها.[5]

مع مستهل القرن التاسع عشر عرفت الجزائر سلسلة من الثورات قادها مجموعة من المرابطين وشيوخ الزوايا، أرهقت النظام الحربي للجزائر، وهددت التواجد العثماني وكانت عاملاً حاسما في

---

(1) عبد القادر (حلمي)، **مدينة الجزائر نشاتهاوتطورها قبل عام 1830**، مطبعة البعث اللعربية، ط1، الجزائر، 1972، ص279.

(2) عبد الرحمن (الجيلالي)، تاريخ الجزائر العام،دار الثقافة، ط1، بيروت، 1983، ج3، ص 475، 476.

(3) العربي (الغالي)،"الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان... مرجع سابق، ص165.

(4) عمار (هلال)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1862م)، د.م.ج، ط1، الجزائر، 1995، ص25.

(5) عبد الله (شريط)، محمد المبارك (الميلي)، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي،م.و.ك، ط 1، الجزائر، 1985، ص163.

زواله، كما تزامن من اندلاع هذه الثورات مع اشتداد التنافس الإنجليزي الفرنسي على اكتساب مناطق نفوذ داخل الجزائر وباستحواد اليهود على مقاليد الحكم وإنتشار موجة من الاستياء العام لدى السكان تجاه السياسة الجائرة المطبقة من طرف الدايات [1]، ومن أشهرها نذكر الدرقاوية وثورة ابن الأحرش في الشرق والتيجانية في عين ماضي.

**أولاً: ثورة درقاوة الشرق الجزائري (1804م):**

**أ شخصية ابن الأحرش وحياته:**

إن الثورة التي قامت بالشرق الجزائري هي ثورة "ابن الأحرش" بقسنطينة، هذا الأخير لا تذكر المصادر سوى القليل عن تاريخ ، وقد اشتهر بالبوادي أو بالشريف المغربي،وقال عنه "المزاري": "بأنه فتى مغربي مالكي المذهب، درقاوي الطريقة درعي النسب".[2]

وحسب الأستاذ سعيدوني فإن إنتسابه إلى المغرب لا يعني أنه فعلا من المغرب، بل جرت العادة في هذه الفترة أن كل غريب يدعي النسب ويدعو إلى الطريقة او حركة ثورية، غالبا ما ينسب نفسه إلى الساقية الحمراء، ومنطقة سوسى، وهذا حتى يكسب هيبة ومكانة لدى العامة.[3]

زيادة على هذا فإن المصادر تشير إلى أنه كان يتصف بالحيلة والطموح ويشتهر ببلاغة أسلوب وفصاحة لسانه في مخاطبة الناس وقدرته على الإقناع.[4]

تزعم ابن الأحرش هذه الثورة في الشرق الجزائري في عهد الداي مصطفى باشا ( 1798-1805م)، الذي كلف عثمان باي قسنطينة بالقضاء على ابن الأحرش وزمرته،وكان هذا الأخير قد تحالف مع مرابط من منطقة ميلة يدعى "الزبوشي" وتمكنا من سحق جند عثمان باي وقتله في معركة وادي الزهور سنة 1804، وقد تمكنت قوات إسماعيل باس قسنطينة الجديد بمساعدة قبائل المخزن من القضاء على ثورة الأحرش وحركته التي استغرقت 4 سنوات.[5]

---

[1] حنيفي (هلايلي)، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلة، ط1، الجزائر، 2008، ص 22، 23

[2] بن عودة (المزاري)، طلوع سعد السعود في أخبار مدينة وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ج2، ص 299.

[3] نصر الدين (سعيدوني)، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية"، **مجلة الثقافة**، عدد 78، 1983/ ص201.

[4] المرجع نفسه،ص 202.

[5] حنيفي (هلايلي)، مرجع سابق، ص24.

أما عن وفاته فيذكر صاحب "التحفة" أنه قتل على يد ابن الشريف، وقد ذكر هذا بقوله: "أن ابن الأحرش بعد فراره...والتحاقه بابن الشريف في الجهة الغربية، بقي في معيته إلى أن دس له من قتله من أصحابه ونحن وإن كنا نؤكد هذا الخبر إلا أننا لا نستبعده [1]، لأنه كان منافسا خطيراً له خاصة وأنه أظهر استقلاله عن شيخ الطريقة الدرقاوية، مولاي العربي، ونقلت جثته إلى مدينة فاس بطلب من السلطان المغربي.[2]

وبالتالي بالرغم من الصدى الذي لقيته ثورة ابن الأحرش، والتفاف القبائل حوله إلا أنه فشل في مسعاه الرامي إلى الحد من تعسف وظلم العثمانيين، رغم الأساليب التي اعتمدها لكسب القبائل بالشرق الجزائري، إلا أن تبنيه للطريقة الدرقاوية لم يمكنه من إيجاد أنصار أكثر ولاء لهؤخاصة وأن الشرق الجزائري كان أغلب سكانه ينتمون إلى الطريقة الرحمانية المهادنة للحكام العثمانيين[3]، فلم ينظم إليه من شيوخ الزوايا والمرابطين إلا ما كان معاديا للسلطة وناقما عليها من مثل المرابط "الزيوشي" والمرابط "بن يعريش" والمرابط "بن بركات" الذي جند القبائل المجاورة لبجاية. [4]

لذا فعلى الرغم من القضاء على هذه الثورة إلا أنها خلفت آثار سلبية على أوضاع البلاد لما كان بها من محن وهو ما يؤكده العنتري بقوله: "فحصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك... وتفرقوا بسبب الهول الواقع.[5]

**ثانياً: الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري.**

**شخصية ابن الشريف:**

ينسب المؤرخون الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري إلى محمد بن عبد القادر بن الشريف الفليت، يعود أصله إلى قبيلة "كسانة" القاطنة بوادي العبد جنوب سهل غريس [6]، وقد درس

---

[1] محمد (بن عبد القادر) الجزائري مصدر سابق، ص95.

[2] أحمد علي الراشدي (ابن سحنون)، مصدر سابق، ص43.

[3] نصر الدين( سعيدوني)، ثورة ابن الأحرش، مرجع سابق، ص216.

[4] DeGRAMMONT, Op-cit,p364.

[5] محمد الصالح (العنتري)، **سنين القحط والمصغبة، بايات قسنطينة**، تح وتق: رابح بونار،ش.و.ن.ت،ط1، الجزائر، 1974، ص33.

[6] بن عودة (المزاري)، مصدر سابق، ص301.

مبادئ اللغة العربية في مسقط رأسه في قرية "أولاد بليل" ثمالتحق بمعهد اليقظة التابع للطريقة القادرية، الذي كان يرأسه الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر [1] بعدها رحل إلى المغرب حيث بزاوية الشيخ محمد العربي ببني زروال الذي لقنه مبادئ الطريقة الردقاوية، وبعدما أجازه عاد إلى مسقط رأسه لتلقين مبادئ الطريقة بعدما عينه شيخه مقدما لها.[2]

كان عبد القادر بن الشريف يجول البلاد باتا تعاليمه التي وجدت صدى كبيراً في أوساط السكان وخاصة سكان الصحراء الذين كانوا يقدمون له الهدايا [3]، التي كانت تشكو له الظلم الذي أصابها من جراء الضرائب والمغارم المفروضة عليهم وكان ابن الشريف بدوره ينقل إلى شيخه ما كان يلقاه أتباعه من إهانة وجور العثمانيين، وقد نقل لنا "الزياني" هذا بقوله: "يا سيدي إن بوطننا قوما يقال لهم الترك... يظلمون الناس، ولا يعبئون بالعلماء والأولياء، نسأل منكم أن يمون هلاكهم على يدك ليستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد، فقال له شيخه، عليك بجهادهم وقتالهم وإن الله ينصرك عليهم..."[4] ، وكان ذلك في عهد الداي مصطفى الذي تميز بنهب أموال الناس وكرهه للمشايخ الطرق.[5]

كانت معركة قرطاسة الواقعة بين واد مينه وواد العبد جنوب مدينة غليزان بداية للثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري، بحيث لما وصل ابن الشريف إلى واد مينا أذن لأتباعه بنهب أموال وممتلكات محلة الباي والقبائل المؤيدة لها ولما بلغ الخبر الباي، جمع عسكره وعاد طالبا إياه فإلتقاه "بفرطاسة عام 1805م، حيث اشتد القتال بينهما وهزم الداي وفرق جيشه الذي طارده الدرقاوي حتى أسوار معسكر.[6]

وقد جسد لنا الشعر الشعبي الواقعة بالأبيات التالية:

فرطاسة يومها ترى الجنود به  مابين قتلى وأســـرى غيـــر ناجينا

---

[1] محمد( بن عبد القادر )الجزائري، مصدر سابق، ص15.

[2] أبو العباس( السلاوي) الناصري، الإستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، تح، وتع، ولدي المؤلف جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، ط1، الدار الميناء، المغرب، 1956، ص109.

[3] بن عودة (المزاري)، مصدر سابق، ص302.

[4] محمد بن يوسف( الزياني)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق، المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت، ط1، ط1، الجزائر، 1979، ص208.

[5] حمدان (خوجة)، مصدر سابق، ص168.

[6] محمد يوسف( الزياني)، مصدر سابق، ص210.

فالباي جاء بجيش لأنقاذ له به يريد لقـــاء العـــدو غير باغينا
فلم يحقق له مسعى ولا أمل بل باء ضـــده منهر الكف بالكينا
فاليوم ابن الشريف عز فيه على باي للأعاجم لولا الدين لا دينا[1]

وقد امتد لهيب الثورة من مليانة إلى غاية تلمسان، وهنا بدأت الحاميات العثمانية في الانسحاب نحو المناطق الساحلية، حيث انقطعت كل الطرق ما عدا الطريق البحري الذي كان المنفذ الوحيد لوصول الإمدادات إلى وهران [2]، وكادت هذه الثورة في مرحلتها الأولى أن تقضي على الوجود العثماني بالمنطقة لولا تدخل الداي الذي بعث جيشا بقيادة مستشاره "علي آغا" من أجل فك الحصار على وهران، لكن اعترضت طريقه قبائل نواحي وادي الشلف و لم تتركه إلا بعد ما دفع لها المال بعد تدخل أحد مرابطي منطقة العطاف، ليعود الجيش إلى مدينة الجزائر [3]، لذا فبعد عجز العثمانيين عن القضاء على الثورة راسلو ا السلطان المغربي مولاي سليمان للتدخل وإرسال الشيخ مولاي العربي الدرقاوي لتهدئة الأوضاع.[4]

وقد استغرقت ثورة ابن الشريف سنوات عديدة تمكن من خلالها من دحر الجند العثمانيين والوصول إلى مشارف وهران في الإقليم الغربي من الجزائر لكن هذه الثورة كان مآلها الفشل بعد أن عين داي الجزائر الباي محمد بن المقلش 1805م على القطاع الوهراني[5]، وإستطاع الباي محمد بن المقلش قلب الموازين لها بعدما عاش سكانها أوضاع صعبة، بعدها شرع في إخضاع البايلك ومطاردة الدرقاويين[6]، وقد عمد سياسة للقضاء على ابن الشريف إلى الدهاء السياسي واستعمال كل الوسائل القمعية ضد الدرقاويين و مصاهرة القبائل الأكثر اتصالا بهد الثورة.[7]

إن هذه الثورة وعلى الرغم من أنها لم تحقق هي الأخرى هدفها الرئيسي الرامي إلى الإطاحة بالنظام العثماني بالجزائر إلا أنها ساهمت في إضعافه، حيث مهدت الطريق لسقوط الجزائر في يد الفرنسيين بعد سنوات قليلة.

---

[1] المرجع نفسه،ص 212.
[2] محمد بن (عبد القادر الجزائري)، مصدر سابق، ص15.
[3] المصدر نفسه، ص15.
[4] عبد الرحمن( الجيلالي)، مرجع سابق، ج3، ص290.
[5] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص124.
[6] DeGRAMMONT, Op-cit,p365.
[7] عبد الرحمن( الجيلالي)، مرجع سابق، ج3، ص290.

ومن نتائج هذه الثورة كذلك أن ذهبت ضحيتها العديد من رجال الدين سواء الذين استشهدوا في المعارك كالكاتب أحمد بن الهطال التلمساني والعلامة الأديب أبو عبد الله السيد محمد الغزلاوي. [1]

ويبقى تحديد ومكان وفاة ابن الشريف محل خلاف بين المصادر سواء المحلية أو الأجنبية فالزياني يتفق مع ما ذهب إليه " Esterhazy" إستر هازي و"دونوفو" " Deneveu" أن نهايته كانت ببني سنانس جراء الوباء. [2]

أما دي غرامون "Decrommant " فيرى أن نهايته كانت عند محاولته استعادة معسكر عهد الباي المقلش مع عدد كبير من أتباعه.[3]

**ثالثاً: الثورة التيجانية بالجنوب.**

لقد كان وصول العثمانيين إلى الأغواط منذ القرن السادس عشر الميلادي، حيث إمتدت سلطة الآيالة الجزائرية التابعة للعثمانيين حتى الأغواط ضمن حدود بايلك التيطري إبان حكم حسن باشا بن خير الدين بربروس ( 1544-1587م)، والذي رسم حدود الجزائر وخطط تخومها وعرف بتنظيماته الإدارية، ويمكن التحديد أكثر أن منطقة الأغواط حتى جبال العمور المتاخمة لعين ماضي كانت تحت حكم باي التيطري، الذي عاصمته المدية، واسم هذا الباي هو رحب، وقد عينه الداي حسن باشا سنة 1548م، كأول باي على منطقة التيطري.[4]

لكن النفوذ العثماني لم يكن متغلغلا كثيراً في أنحاء (الأغواط) حتى سنة 1727م، حينما خضعت الأغواط مرة ثانية إلى حكم باي المدية شعبان والذي أثقل كاهل السكان بفرض ضريبة سنوية ثقيلة زيادة على إرهاقهم بمتطلبات العوائد والرسوم والجبايات، مما أزعج السكان كثيراً وصاروا كبراميل البارود الذي ينتظر الشرارة لينفجر وفعلا كان ذلك، ففي سنة 1784م قدم مصطفى باي المدية ليخيم برأس العيون شمال الأغواط ليجمع تلك الضرائب والجبايات، المفروضة على الأغواط ونواحيها، والتي تماطلت في دفعها، لكنه رجع خائبا بعد خوضه لمعارك عديدة على

---

[1] بن عودة (المزاري)، مصدر سابق، ص304.

[2] محمدبن يوسف (الزياني)، مصدر سابق، ص227.

[3] DeGRAMMONT, Op-cit,p365.

[4] عبد الرحمن( الجيلالي)، مرجع سابق، ج3، ص32.

سهولها الشمالية والغربية.[1]

وقد كانت الحملة التي قادها الباي محمد الكبير سنة 1782م نحو الجنوب الصحراوي بداية لهذا التغور، كما عاد إلى عين ماضي في حملة ثانية سنة 1784م[2]، كما فرض عليهم ضريبة سنوية تقدربـــ 188 ريال، وقد وصف "ابن هطال" نزول الباي عند عين ماضي قائلا "فلما رأو أهلها خيلة قد طلعت وجنوده قد أقبلت فزعت قلوبهم وطاشت عقولهم أغلقوا الديار...، وإذا بهم خرجوا بنسائهم وعلمائهم، مقدمون النساء أمامهم وتلك كانت عادتهم فللما دخل المحلة أذن السلطان (الباي) للعلماء في التقدم فتقدموا... وسألوه أن يرفق ويشفق من حالهم وأن يعفيهم من القطيعة الأولى (الضريبة)... فإنهم لا طاق لهم بدفعها، فلما سمع كلامهم إستقصى خبرهم أدركته الحنانة والشفقة عليهم، وجعل لهم لزمة أقل من الاولى... وبالغد أصبح أهل عين ماضي يدفعون فيعطيهم من الخيل والخدام والدراهم.[3] وبعد سنة فقط أي عام 1785م غزاها صالح باي.[4]

لذا فنتيجة للضغوط التي تعرض لها الشيخ هجرة إلى فاس بالمغرب وامتناعه عن مواجهة السلطة التي أعدت جيشا بقيادة الباي عثمان سنة 1787م، الذي فرض عليها ضرائب سنوية قدرها 18 ألف ريال أي ما يعادل 150 ألف فرنك فرنسي، لذا فإن شيخهم طلب منهم الخضوع للسلطة ودفع ما تستحقه، و لم يطلب من أتباعه الثورة ضدهم بقوله لهم: "إياكم أن تخالفوه أو تقاتلوه (الباي) فقد حدث الأمر من عند عند الله بما قلته، ودليل ذلك أن أمر المعاصي قد عم ببلاد الصحراء[5]، وقد أورد الشيخ أحمد السيكرج هذه الرسالة مطولة في كتابه كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب وما جاء في هذه الرسالة :«...إلى أحبابنا وأعز الناس عندنا جماعة أهل عين ماضي من غير تخصيص السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من كاتبه أحمد بن محمد التيجاني...، وأما أمر الباي معكم فاسمعوا مني نصيحة كاملة يبذلها الوالد المحب لأولاده إذا كنتم تراعون نصيحتي فسيروا إليه في بلاده وأعطوه ما تقدرون عليه من مال ولا تقاتلوه فإنه لا خير لكم في قتاله... وإياكم ثم إياكم أن تقاتلوه أو تخالفون فكل تدبير عنكم في القتال والخلاف

---

[1] إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية،، ط2، الجزائر، 2007، ص111.

[2] أحمد التلمساني( ابن هطال)، مصدرسابق، ص38.

[3] أحمد التلمساني (ابن هطال،) مصدر سابق، ص73،74.

[4] أحمد توفيق( المدني)، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م)**، م. و.ك،ط1، الجزائر، 1986، ص153.

[5] عبد الرحمن (الجيلاني،) مرجع سابق، ج3، ص288.

فاتركوه ولا تدبروا إلا في الصلح بينكم وبين هذا الباي... عبد الله الشر بينكم وبينه وبعثم لي من الإبل قدر ما يحملني إنتقلت إليكم».[1]

بعد سنة 1818م كانت وفاة المؤسس أحمد التيجاني بالمغرب، لذا فقد بقيت مطاردة الأتراك وحكمهم في الجزائر للطريقة التيجانية، لذا طالت أولاد التيجاني من بعده لما عادا ولداه محمد الكبير ومحمد الصغير من فاس إلى أرض الوطن رفقة الشيخ الخليفة الحاج علي التماسيني وكان قد أوصاه أحمد التيجاني بإرجاعهما إلى صحراء عين ماضي، وقد إستبانت مؤامرة باي وهران تجاه نجلي الشيخ أحمد التيجاني، وذلك عندما أرسل هذا الباي إلى أحد مقاديم الزاوية بالأغواط يطلب منه التوسط في الإتيان بنجلي الشيخ ليكرمهم ويتبرك بحضورهم لديه في وهران فعارض الحاج علي التماسيني هذه الخطة، وأسرع بنقل النجل الأكبر للشيخ محمد الكبير إلى تماسين ليقيم بحضرته، ونقل أخاه محمد الحبيب إلى قصر بوسمغون، تنفيداً لوصية أبيهم له في رعايتهم وحفظهم من محاولات الباي للنيل منهم فاغتاظ الباي من ذلك وراح يتحين الفرصة للنيل منهم وقام بهجمات على عين ماضي للنيل من أهلها المؤيدين للتيجاني لكنها باءت بالفشل، وكان ذلك عام 1822م، و لم تمضي فترة طويلة حتى ذهب الشيخ محمد الكبير إلى البقاع المقدسة للحج عام 1825م[2]، و لم يكتفي العثمانيون بهذا بل عملوا على مراقبة "محمد الكبير" لما كان عائد من الحج لذا أمر الداي "حسين باشا" من باي قسنطينة أن يعترض طريقه ويلقي القبض عليه لكنهم فشلو في ذلك[3]، بحجة خلاف والده مع سلطة الأتراك بالجزائر، لذا فقد نجى بأعجوبة ووصل إلى بلدته بعين ماضي سالما و لم يطل الأمر به حتى أعلن الثورة ضد السلطة [4]، لذا لم يرى سبيل إلا إعلان الثورة على العثمانيين حتى يثأر لما حل به وبأهلها من قبل الباي حسن، لهذا يقول الزياني: "إن التيجاني لما رأى ما حل به بغير موجب حق ظهر له مقاتلة الترك والغزو على الباي حسن فإتصل بسكان غريس الذين بايعوه وإتفقو معه على محاربة الباي حسن.[5]

---

[1] أحمد (سيكرج)، مرجع سابق، ص363.

[2] المرجع نفسه، ص55.

[3] الحاج أحمد الشريف( الزهار) ،" مذكرات"، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت.الجزائر،1972 ، ص159.

[4] أحمد (سيكرج)، مرجع سابق، ص55.

[5] محمد بن يوسف( الزياني)، مصدر سابق، ص 242.

ولتحقيق خطته، كاتب الشيخ التيجاني القبائل الرافضة للسلطة العثمانية مثل بني عامر البرجية، الزمالة، والدوار لكنها رفضت الدخول معه من الهزيمة لعدم تأكدها من قوة التيجاني [1] بعدها زحف التيجاني بجيش قدر بـــ 600رجل نحو معسكر لكنه لم يتمكن من الإستيلاء عليها نظراً للمقاومة العنيفة التي لقيها من طرف سكانها وتمكن الباي حسن من هزيمة التيجاني بعد إنسحاب قبيلة الحشم المنظمة إلى محمد الكبير التيجاني وهذا ما ذكره الزياني بعدما إشترى أعيان القبيلة وكافة العرب بالمال، ويقال أن الباي أعطى الأعيان الحشم وكافة العرب أموالا كثيرة فأوقعو به الهزيمة وفروا منه.[2]

ورغم الخديعة إلا أن التيجاني صمد و لم ينسحب حتى قتل هو رفقة ثلاثمائة رجل [3] ويصف لنا "الزهار" ما حل بهم بقوله: "فقطعو رؤوسهم وفرقوها على المدن لكي يعتبر الناس وبعثوا برأس الحاج محمد الكبير التيجاني ... ومعه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر واتوا بسيفه وبعض الحجابات التي كانت عليه... وجعلوا رأس ولد التيجاني في عمود وصلبوه... وعلقو الرؤوس الأخرى حوله، ولكثرة ما كان الناس يخافونه بعثوا للسلطان محمود الثاني يبشرونه بقتله وبعثوا له بسيفه والجب التي كانت معه وإستولى الباي على أثقال التيجاني وأمواله ورجع إلى وهران..."[4]

ومن هنا فهذه الثورات هي الأخرى لم تحقق أهدافها، حيث إستطاع الباي القضاء عليها بسهولة وبكل عنف لذا فالسبب الوحيد لفشها أنها جاءت عفوية ومفاجئة و لم تتسم بالتنظيم.

---

[1] العربي (الغالي)، الثورات الشعبية، مرجع سابق، ص192.

[2] محمد بن يوسف( الزياني)، مصدر سابق، ص 247.

[3] محمد (بن عبد القادر) الجزائري، مصدر سابق، ص135.

[4] الحاج أحمد الشريف( **الزهار**)مصدر سابق /، ص160.

## المبحث الثاني: التأثير الاجتماعي للطرق الصوفية.

اتخذ التصوف في الجزائر كما في بقية دول العالم الإسلامي منذ بداية ظهوره بها أبعاد أبعاداً اجتماعية، وذلك بسبب الظروف التي كانت تعيشها البلاد خلال هذه الفترة، فكان له تأثير اجتماعيا كبيرا في حياة المجتمع الجزائري في هذه الفترة، فكان منه ماهو منه ماهو إيجابيا وما هو سلبي.[1]

ومن خلال هذا الموضوع ساتطرق إلى أهم التأثيرات الإيجابية، والسلبية للطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة.

### 1 -التأثير الإيجابي.

احتل التصوف وطرقه مكانة هامة في حياة المجتمع الجزائري منذ بداية ظهوره إلى يومنا هذا، فانساق وراءه لما وجدوا فيه من مساواة، وعدل وإحساس بالوجود والأهمية، فقد كان شكلا من أشكال التعبير عن الغضب والتمييز بين فئات المجتمع.[2]

فكانت من أهم التأثيرات الإيجابية للطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة:

- تحقيق الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع الجزائري، وذلك للحفاظ على الوحدة الوطنية نتيجة التلاحم الروحي والديني بين الأرياف والمعالم الدينية من زوايا ونحوها ونقل الطلبة عبر جهات عديدة من الوطن، وكل ذلك عمق من أواصر التعارف ومد جسور المحبة بين طبقات المجتمع الجزائري.[3]
- عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة فقربت بين الفقراء، الأغنياء، العلماء والأميين، والشرفاء وغيرهم، وصهرهم جميعاً في بوتقة واحدة وألفت بينهم جميعاً في إطار الآية القرآنية الكريمة: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.[4]
- اعتماد مختلف المؤسسات الثقافية للطرق الصوفية التربية الدينية والتوجه القرآني من أولى اهتماماتها في العملية التربوية، وتهذيب السلوك، وهدوء الأعصاب، وإستقرار نفوس المراهقين وتهذيبهم بالقيم القرآنية والتمرس على الطاعة، ونبذ العنف، والتمرد والعصيان ومن ثم

---

[1] مختار جابر، **عن التصوف والصوفية في الجزائر**، مرجع سابق.

[2] المرجع نفسه.

[3] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 172

[4] يحي (بوعزيز)، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، مرجع سابق، ص223.

الإتصاف بالصبر والثبات والتغلب على الشهوات باعتبار أن مصدر التكوين هو المصدر القرآني، وبذلك سينعكس هذا إيجابياً على سلوكهم اليومي وتكوين شخصيتهم.[1]

- مساهمة الوقف في خدمة العمل الخيري والاجتماعي والتعليمي دور التدريس وتفعيل مهام المساجد، إذ ظل المصدر الهام والمورد الأساسي في تقوية حركة التعليم.[2]

بفضل مختلف الأوقاف والأموال كانت المؤسسات التابعة للطرق الصوفية بالإنفاق على طلبة العلم، والقائمين على خدمتها، إطعام الفقراء والمساكين أبناء السبيل وغيرهم.

- كفالة اليتامى والأرامل فقد أولت هذه المؤسسات اهتماماً كبيراً بالأيتام من خلال إيوائهم والتكفل بهم وبحاجاتهم، و لم تكن تكتفي بتوفير المأوى والمأكل لليتامى فقط، بل كانت تهتم بتربيتهم وتعليمهم وتسمح لهم بتولي المناصب العليا الخاصة بتسييرهم.[3]
- لعبت دوراً هاماً ورائداً في إنهاء الخلافات والخصومات بين الناس، أفراد وجماعات، وذلك بفضل مكانة شيوخها مقدميهم ووكلائهم فمثلت دور الحكم، وقللت من الخلافات والمشاكل بين الناس وبذل تمتع المجتمع الجزائري بالاستقرار النفسي الخلقي، واتخذ من شيوخ هذه الطرق الصوفية قادة له، بدلا من الحكام المدنيين وقضاتهم الرسميين، الذين لا يشبعون رغبتهم ولا يرتاحون لسلوكهم وأحكامهم.[4]
- كما أن التربية المدنية والاجتماعية أخذت قسطاً وفيراً من تكوين الطالب في هذه المؤسسات فالطالب داخلها مضبوط جداً بجملة من القوانين،كاحترام الوقت والمواعيد وأداء الفرائض وتقديم الخدمات داخل هذا المؤسسات وغرس العمل التطوعي بين صفوف الطلبة وتقديم الدروس خارج أوقات العمل والمساهمة في جني المحصول الفلاحي وكل هذا يظهر جليا في إعداد الأجيال وتمسكها بالوطن.[5]

---

[1] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 173.

[2] المرجع نفسه، ص ص 141، 142.

[3] مختار جابر، **عن التصوف والصوفية في الجزائر**، مرجع سابق.

[4] يحي (بوعزيز)، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، مرجع سابق، ص 223.

[5] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 173.

## 2 -التأثير السلبي:

كان للطرق الصوفية تأثيراً سلبياً في المجتمع الجزائري كما كانت لها إيجابياتها، فكما اهتم البعض بنشر الأشياء الإيجابية كالعلم والمعرفة فقد انحرف بعضهم الأخر عن الطريق الحقيقي للتصوف وتحول من العلم إلى الخرافة ومن الولاية إلى الشعوذة وهذا هو ما حدث لدى الكثير في عصر ساد فيه التخلف ونامت فيه أعين الرقابة، فقد ظهر أشخاص هنا وهناك يدعون ضالة مضرة بالمصلحة العامة ومع ذلك لم يوفقوا عند حدهم بل سمح لهم بالنشاط والنمو والانتشار حتى عاثوا في الأرض فسادا، وقد تولد عن ذلك انتشار الفوضى الدينية...وغيرها.[1]

ومن أهم الأشياء السلبية التي تركتها الطرق الصوفية المنحرفة على خصوصيات المجتمع الجزائري التي لا يزال منها الموروث حتى اليوم ما يلي:

- شيوع ظاهرة الدروشة وانتحال صفة الولاة والتوسل للطرق الإكثار من زيارة القباب الأضرحة والبكاء على القبور والموتى وهذه المغالاة أدت في بعض الأحيان إلى ظاهرة الشرك الخروج عن طاعة الله ووحدانيته وكذا الابتعاد عن قضايا الدين القويم قد نتج عن ذلك الاختلاط والزنا والخلة بالنساء الفجور معهن تحت مضلة القضاء والقدر والتوسل للمرابطين بغية تحقيق مآرب ضائعة وغير متوفرة.[2]
- احتدت الخلافات بين بعض شيوخ الطرق الصوفية حول بعض القضايا الهامشية كالقبض في الصلاة والجهر بالبسملة وقراءتها كان ذلك سببا في قيام مشاحنات وحزازات بين الأتباع.[3]
- انتشار ظاهرة الاعتقاد دون الانتقاد بحيث أصبح من المسلمات به وضع الكثير من الجزائريين شؤونهم تحت امرة المرابطين والمبتدعة والمشعوذين أهل الظلال وكثر التدجيل باسم الدين الحنيف، واختلط التصوف مع المبتدعة وعمت الحضرة وكثر التوسل والإتكالية الكسل وعبادة الشيخ والإكثار متزيارته وبالمقابل برز بعض الدعاة ممن يرفضون هذا السلك الخرافي اللغريب عن الإسلام والمسلمين ومن بينه عبد الكريم الفكون والذي هاجم المنحرفين عن الدين وقال إن دعوة أهل التصوف كان غرضها جمع المال والثراء على حساب الآخرين.[4]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص482.

[2] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 144.

[3] يحي (بوعزيز)، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، مرجع سابق، ص 226.

[4] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 144.

- الإبتعاد عن العلم والعمل إذ لم تكن لدهم اهتمامات بفلسفة التوحيد وليست لهم عقيدة عميقة في الدين الإسلامي الأمر الذي يسمح بتكوين رأي سياسي موحد لم يكن لهم إلا الباعث الروحي الذي تجاوز الحدود السياسية الوطنية إلى حدود الماضي بعيداً عن أفاق المستقبل،فحدث تقدم إلى الوراء وبالتالي تغييب الناس عن واقعهم وإسكاتهم من دون تحسيسهم بحاضرهم الذي هو شرط للتطلع إلى المستقبل.[1]
- أصبحت القباب والأضرحة ملجأ يحتمي به الهاربون من القانون فإذا فروا إلى القباب والأضرحة لا يلحق بهم أحد من رجال أمن الدولة مهما كانت جرائمهم ولا يقبض عليهم إلا عند خروجهم من الضريح.[2]
- الانغلاق على الذات والجنوح نحو الخلوة والتصوف والأخذ بمرجعية السلف دون مراعاة للظروف الجديدة ولا توظف القدرة الذهنية ولا العقلانية في دراسة المحيط وكل ذلك أغلق مدارس الاجتهاد قلل من رواد العقلنة وفكر الحداثة حتى الاستفادة من حركة التنويرالتي عرفها العالم مع بداية التاريخ الحديث من ثمة لم تربط قضاياهم الآخروية بقضايا العالم الدنيوية.[3]
- عدم مسايرة رجال الطرق الصوفية لمرحلة التنوير اليقظة التي شهدها العالم الأوروبي بعد حركة الكشوف الجغرافية ظهور الطباعة والصحافة حركة التأليف والكتابة ونحوها من مظاهر الحضارة الحديثة التي استفادت من خبرة العالم الإسلامي في أزهى عصوره بعد أن ألحقوه بمرحلة الفساد الجمود عكس غيره في بلاد العالم الغربي برغم محاولات الإصلاح التي قامت بها الدولة العثمانية ولكنها جاءت متأخرة و لم تواكب حضارة الغرب بل لم تكن نابغة من الذات الإسلامية حتى تلك المحاولة اليائسة لم تكن موحدة لدى الجزائريين الذين سلموا أنفسهم إلى رجال الصوفية.[4]

---

[1] احميدة عميراوي، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص131.

[2] عمار (عمورة) **بوابة التاريخ**، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 169.

[3] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 145.

[4] المرجع نفسه، ص 145.

## المبحث الثالث: التأثير الديني والثقافي للطرق الصوفية على المجتمع الجزائري.

### 1 - التأثير على المجتمع الجزائري.

لقد إحتلت الطرقية في المجتمع الجزائري مكانة هامة لا يستهان بها إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث خاصة الثقافية والدينية منها والهدف نم الحديث عن هذه الطرق الصوفية ليس إبراز مكانتها كعقيدة فلسفية دينية بقدر ما هو أبراز دورها الثقافي والديني [1]، خاصة أنه كما تم الإشارة إليه إلى أن الأتراك لم يكونوا يعنون بالثقافة بقدر عنايتهم بالحرب وضمان الإستقرار السياسي أي أن الرقي الثقافي الذي عرفته الجزائر في تلك الفترة حققه الجزائريون بأنفسهم مدفوعين لذلك بدافع شعوري منبثق من أعماق الشعب.[2]

ولهذا نجد أن الزوايا الدينية للمرابطين أخذت في تلك الفترة تتضمن مهنة التعليم بعد أن كانت وظيفتها تقف عند حد الإطعام وإيواء الضيوف العابرين وتأمين أمال الناس، ومنح الأتباع بركة، و لم تعد توجد زاوية لمرابط مشهور إلا وتمارس وظيفة التعليم.[3]

وقد كان التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني يعتمد أساساً على تحفيظ القرآن وتلقينه وتعليم القراءة والكتابة وقد تظهر الفائدة الجليلة للتعليم إذا كان المتعلم صبيا لأنه يحتكم على القدر الكافي من الزمن لمزاولة باقي العلوم بعد تمكنه من إتقان القراءة والكتابة أما كبار السن فكان الهدف من تعليمهم هو محو الأمية عن طريق تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن.[4]

لذلك نجد أن الطرق الصوفية بصفة عامة قد اهتمت بالدرجة الأولى بتحفيظ القرآن للأطفال الصغار وكذلك الكبار وشرائه بصورة مكثفة ومتواصلة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة مما يساعد ذلك على محو أمية الحرف من جهة وحماية القرآن الكريم من النسيان والضياع والاندثار من جهة أخرى فنجد أنه في ذلك الوقت أغلب الناس كباراً وصغاراً يحفظون القرآن إن لم يكن

---

(1) احميدة عميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث قسنطينة، (د.ت)، ص 29.

(2) مبارك بن محمد الهلالي (الميلي) ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت) ج 3 ص318.

(3) العيد مسعود، **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني** مجلة سيرتا، العدد 03، 1960، قسنطينة، ص60.

(4) مبارك بن محمد الهلالي (الميلي) ، **التعليم الديني بالجزائر وحفظ الزوايا منه**، مجلة الشهاب، ع13 فيفري 1926، ص 269، 270.

كله أو جله فبعض إجزائه من ظهر قلب، كما يعملون على تطبيق مبادئه وتعاليمه الدينية والدنيوية، خاصة فيما يتعلق بالسلوك والأخلاق العامة، الشخصية والجماعية.[1]

كما أن الطرق الصوفية عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأصقاع البعيدة التي لم يكن وصل إليها ، خاصة الأقاليم الصحراوية النائية ، كان ذلك من إشكال مقاومة الجهل و الأمية وتشر العلم والمعرفة في أوسع مجالاتهما وبذلك استطاعت الطرق الصوفية أن تصنع أجيالا من العلماء الكبار والفقهاء البارزين والقضاة وكبار المفكرين كان لهم دورهم الرائد في التطور الفكري والثقافي[2] من جهة أخرى نجد أن زوايا الطرق الصوفية كانت تستخدم بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات العامية في مختلف أنواع العلوم والفنون والمعارف وذلك لراجع لاهتمام شيوخها طلابها بالعلم والتعليم، والنقل والنسخ للكتب والتأليف والجمع و الشراء و ما إلى ذلك من وسائل اقتناء الكتب.[3]

والملاحظ أن التعليم لدى الطرق الصوفية كانت مقتصرا في معظمه على تعليم الذكور دون الإناث و لكن رغم ذلك ظهر من الطرق من ناصر المرأة و أدوجها في حلقة التربية والتعليم و أولوها العناية وقربوها من نشاطهم وهذا من نجده خاصة عند الرحمانيين والتيجانيين وكان الهدف من الاهتمام بالمرأة بغرض إضعاف شوكة المرابطين وصلتهم الوطيدة بالعديد من شؤون قضايا المرأة لذلك راهنت هذه الطرق على ضرورة مزاحمة المرابط في توظيف المرأة لخدمة طريقتها خاصة أن هذه الأخيرة كانت أكثر زيارة للأضرحة والتبرك بالوالي والمرابط وشيخ الطريقة وحتى تقديم طلباتها له بغية تحقيقها.[4]

ومنه نجد إن الطرق لصوفية تعددت أفكارها المستوحاة من البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري و امتازت بتقديم الخدمات لما يتطلبه محيطها في المجال التربوي و الروحي والديني مع العلم أن بعض هذه الطرق قد أولى العناية التامة لتحفيظ القرآن وتعليم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية وتحوها مع العلوم الشرعية، بينما الطرق الأخرى فنجدها تبنت خدمة المجتمع من الوجهة الروحية أكثر من اهتمامها بالجوانب الأخرى وعلى العموم يمكن القول إن الإرث

---

[1] يحي (بوعزيز)، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، مرجع سابق، ص 222.

[2] المرجع نفسه، ص 222.

[3] المرجع نفسه، ص 223.

[4] أحمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 137.

الثقافي للجزائر العثمانية كانت أحسن حالا عما آل إليه بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر وزوال العثمانيين و أن الوجود العثماني لم يشكل ظاهرة الصراع الفكري بين طبقات المجتمع الجزائري ذلك على اعتبار انه في الفترة العثمانية كان مجتمعا إسلاميا بالمعنى الكامل بهذا المفهوم أي إن بنياته الحضرية في جميع مظاهرها من نظم اجتماعية من تشريعات و ثقافة كانت تعتمد على ميادين الإسلام كذلك نجد إن هناك من أشاد بالدور الهام الذي أسهمت به الطرق الصوفية و الزوايا في خدمة العلم والتربية والدين والتوجه الإسلامي وهو الدكتور بن أبي شنب وذلك من خلال اشتراك الزاوية مع المدرسة في تنمية الحياة الثقافية ونشر العلوم على العموم إذ أن العلم لم يكن مقصورا على المساجد المدن وزواياها بل كانت القرى أيضا تشارك في الحياة الثقافية وتأخذ نصيبها منها ودلك من خلال الزوايا التي انتشرت في جميع أنحاء البلاد.[1]

## 2 - التأثير على الأتراك:

لقد تجلى احترام العثمانيين وتقديرهم للعلماء ومحاولة التقرب منهم في بناء العديد من الزوايا والمساجد في كل من المدن والقرى و أوقفوا عليها أملاكهم اعتمادا منهم على منطق التضامن الإسلامي وهذا دليل على محاولتهم خلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق السلطة الروحية [2] وقد اشتركوا حكاماً وجنوداً وكراغلة في إقامة هذه المؤسسات [3]، بحبس ثرواتهم على المشاريع الدينية[4]، بحيث لا نكاد نجد حاكما بقي مدة طويلة في الحكم إلا وبنى مسجداً أو زاوية، أو حَبَسَ لها وقفاً.[5]

ونذكر على سبيل المثال الداي "بابا حسن" ( 1682-1683م) بنى جامع كتشاوة وأوقف له أماكن وعقارات كثيرة كما عين به سبعة وأربعون موظفا وحدد رتبهم[6]، إضافة إلى هذا هناك من عمل على تجديد المساجد كمحمد باشا الذي جدد مسجد السيدة.

---

[1] حمد (مريوش)، مرجع سابق، ص 139.

[2] محفوظ (قداش)، "الجزائر في العهد التركي"، **مجلة الأصالة**، العدد 52، 1977م، ص10، 11.

[3] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق،ج1، ص192

[4] شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص376.

[5] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص233.

[6] المرجع نفسه، ص236.

وبما أن العثمانيين رأوا في الرابطة الدينية عاملا قويا لبسط نفوذهم وتدعيم مكانتهم لدى الأهالي، هذا الأمر الذي دفعهم إلى تحبيس أملاكم إما تقوى وورعا من أجل الخلود والذكر الحسن[1]، وبهذا كان الوقف خير وسيلة لتأكيد نفوذهم وسط حكمهم، وتعزيز الرابطة الروحية مع السكان، لهذا فقد أدرك العثمانيون الأهمية التي يمكن أن يتركها الوقف في الأوساط الشعبية، كونه وسيلة للتضامن، ودعم الحياة الثقافية من جهة وهو وسيلة لتأكيد نفوذهم واستمرار حكمهم.[2]

ومن أشهر الحكام الذين برز دورهم في تدعيم الحياة الثقافية سواء من خلال إنشاء المراكز الدينية أو صيانتها أو حتى من خلال الوقف، صالح باي والباي محمد الكبير الذي كان أكثر الحكام اهتماماً بالثقافة وكذلك محمد بكداش.

### -صالح باي (1771-1792م):

قال عنه العنتري: "كان رجلا عاقلا، سيرته مليحة،وسياسته مستحسنة في صلاح العباد ويعتني بأمورهم، أجرى الصدقات على الفقراء... فنال من الخيرات ما لمينله أحد من البايات قبله ولا بعده".[3]

ازدهرت الحياة الفكرية في عهده خاصة بقسنطينة، ويرجع هذا إلى تشجيعه لرجال الفكر وإنشائه المؤسسة التعليمية [4]، من مساجد ومدارس في عنابة وقسنطينة لدراسة النحو والفقه والتوحيد وتفسير القرآن، فقد أنشأ بمدينة قسنطينة مدرسة سيدي لخضر قرب المسجد المسمى بهذا الاسم، كما شيد مدرسة الكتاني عام 1190هـ/1776م لتعليم مختلف العلوم.[5]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص233.

[2] صر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...مرجع سابق،ص152.

[3] محمد صالح العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الأترا ك بلد قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق، يحي بوعزيز، د م،ط 1 الجزائر، 1991، ص ص 68، 69.

[4] مجهول، **تاريخ بايات قسنطينة**، تح: حساني مختار، منشورات دحلب، ط1، الجزائر، 1999، ص5.

[5] نور الدين (عبد القادر)، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي** ، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة، 1965م، ص213.

**-الباي محمد الكبير (1766-1791م):**

كانت الحياة الثقافية ببايلك الغرب قبل وصول الباي محمد الكبير إلى الحكم تسم بالجمود والتحجر وهذا راجع إلى اهتمام الناس بالتجارة خاصة لأنها تضمن لهم العيش الجيد [1]، لذا فقد وجد الباي محمد الكبير الذي كان بارعا بإدارة شؤون بايلكه وكذا بتحريره وهران عام 1792ممن الاحتلال الإسباني، كما إزدهرت الحياة الفكرية في عهده لتقربه من العلماء وبناء المؤسسات التعليمية واختيار كبار العلماء للتدريس. [2]

ويبرز دوره الكبير في تشجيع الثقافة وبعثها من جديد بإنشاء المدارس والمساجد خاصة، فبنى مدرسة معسكر وأخر بوهران وثالثة بمازونة، وأشهرها المدرسة المحمدية التي بناها بمدينة معسكر شبه إليه وهي المدرسة التي قال عنها ابن سحنون: "التي كاد العلم يتفجر من جوانبها" [3]، وقد جهزها بكافة الوسائل الضرورية من مكتبة وقاعة للمطالعة وكل المرافق الضرورية،كما عين لها أساتذة أكفاء للتعليم[4]، كالعلامة الطاهر بن حواء قاضي قضاة معسكر والعلامة السيد عبد الله بن حواء قاضي البلد وخطيب المسجد الكبير، وهما من أسرة تمتاز بالعلم والمعرفة وعين مديراً لها الشيخ محمد بن عبد الله الجلالي، رئيس الرباط لوهران، حيث قال ابن سحنون: "ويرشدهم ويوجههم إلى مناصب مختلفة". [5]

لقد عمل الباي محمد الكبير على استمالة العلماء وتقريبهم، حيث كانت جلساته لا تخلوا من العلماء والأدباء والشعراء ومجالسه تضم العديد منهم خاصة في المناسبات. [6]

كما اهتم الباي محمد الكبير بتدوين الأحداث التاريخية خاصة تاريخ وهران وبايلك الغرب بتشجيعه للعلماء والكتاب وإجزاء العطايا لهم، فكان يأمر بنسخ الكتب الثمينة والمخطوطات الناذرة. [7]

---

(1) أحمد علي الراشدي (ابن سحنون)، مصدر سابق، ص13.

(2) المصدر نفسه، ص135.

(3) المصدر نفسه، ص127

(4) المصدر نفسه، ص135

(5) المصدر نفسه، ص137.

(6) المصدر نفسه، ص143.

(7) المصدر نفسه، ص146.

لقد شجع الباي الكتاب على التأليف في شتى المعارف، حتى أنه كان يقترح المواضيع أحياناً فكلف كاتبه مصطفى بن عبد الله (ابن زرقة) بتدوين أحداث الجهاد عند فتح وهران الثاني، فألف "الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية" [1]، وكان محمد الكبير يستشير العلماء في القضايا الهامةويترل عند رغبتهم[2]، ومن شدة احترامه للعلماء كان لا يسيء إلى الأهالي أثناء حملاته إذا تقدم العلماء كوفد عنهم، فكان يفرض عليهم الضريبة السنوية فقط.[3]

لذا يمكن القول أن إصلاحات الباي كانت أكبر حافز للنهوض بالحياة الثقافية رغم أن الريف لم بتأثر بحركة الثقافة، وظل أبناؤه يتلقون تعليمهم من زوايا المرابطين وشيوخ الطرق.[4]

لكن رغم هذا لا يمكن أن نستهين بما قدمه العثمانيون للثقافة بالجزائر ولو بطريقة غير مباشرة من خلال أعمال فردية تطوعية سواء كانت لأغراض سياسية أو ثقافية، لذا فعلى العموم لم تحظى الثقافة في الجزائر بالأهمية الكبيرة من قبل السلطة العثمانية مثل ما حظيت به القطاعات الأخرى وفي مقدمتها القطاع العسكري، وقد يكون لذلك تبريراً هو أن الظروف في ذلك الوقت كانت تفرض الاعتماد على القوة الحربية لمواجهة الأخطار والقوى الأجنبية البحرية التي عرفتها البلاد آنذاك. [5] لذلك نجد أنه لم يكن في الحكومة الجزائرية آنذاك وزير لشؤون التعليم أو مدير ولا وكيل أو نحو ذلك كم الوظائف الرسمية، فقد كانت هموم الدولة عندئذ منصبة في الحفاظ على الإستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لبيت المال و لم تكن لهذه المداخيل تستعمل في نشر العلم وترقيته وتنمية الثقافة وتنشيطها بل موجهة أساساً لدفع أجور الجند.[6]

ومنه فقد وافق دخول الأتراك إلى الجزائر انتشار الطرق الصوفية وازدادت سيطرتها على المجتمع الجزائري، الأمر الذي أدى إلى بروز مشايخ هذه الطرق وسيطرتها على عقول المجتمع،كما احتضنته بكل فئاته وكانت الممثل الوحيد الذي وجد فيه المجتمع ضالته، وشكى لها همومه وأحزانه نظرا لما لقيه السكان من تهميش واحتقار، من طرف البايات وقد لمس تأثيرها جوانب عدة منها السياسي والاجتماعي والثقافي والديني.

---

(1)أحمد علي الراشدي (ابن سحنون)، مصدر سابق، ص147.

(2) المصدر نفسه، ص 427.

(3)أحمد التلمساني (بن هطال)، مصدر سابق، ص25.

(4)أحمد علي الراشدي (ابن سحنون)، مصدر سابق، ص146

(5)احميدة (عميراوي)، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، مرجع سابق، ص135.

(6)المرجع نفسه، ص313.

الخاتمة

## الخاتمة

ما نخلص إليه في الأخير هو أن الجزائر تأترث كغيرها من البلدان الاسلامية بالحركات الصوفية وقد مس هدا التأثيرجوانب عديدة من المجتمع الجزائري خاصة خلال العهد العثماني وقدزاد تأثيرها في الفترة الأخيرة من فترات الحكم العثماني لد فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمجتمع وانتشرت بشكل كبير خلال هذه الفترة فقد اعتمدت في تطورها على نفسها وعلى المجتمع الجزائري وكان العثمانيون بمثابة الأرض الخصبةالتي أيعنت فيها عددا كبيرا من الطرق الصوفية التي كانت أفكارها مستمدة من البنية الإجتماعية والثقافيةللمجتمع الجزائري لذلك نجد أن إنعكاسها وتأتيرها على المجتمع كان واضحا ويختلف من طريقة لأخرى وذلك حسب خاصية الطريقة ونشاط شيخها ومضمون جوانبها الروحية والفكرية ،والمحيط البيئي الذي ظهرت فيه كل طريقة ومدى علاقتها بالمجتمع الجزائري .

ومن خلال دراستي للظاهرة التصوف والطرق الصوفية في الجزائر خلال فترة حكم الدايات وتأتيرها على المجتمع توصلت إلى مجموعةمن الإستنتاجات والنتائج الهامة والتي يمكن حصرهافي النقاط التالية:

-شيوع الروح الصوفية وتحكمها في توجيه المجتمع الجزائري مما دفع السلطة الحاكمة تعمل على كسب ود مشائخ هده الطرق وجعلها تحت تصرفهم.

-تعلق السكان بالسلطة الروحية المثمتلة في مشائخ الصوفية خاصة في الريف الجزائري الدي كان معظمهم ينتمي إلى طريقة ما

-إهتمام الأتراك بالأولياء والصالحين والأشراف على بناء الأضرحة والزوايا والقبب وذلك بصرف أموال ضخمة في سبيل ذلك مماساعد على انتشار الطرقية فلم تعد مدينة او قريةالا وبها زاوية وضريح.

-إن الحياة الثقافية كان يغلب عليها طابع التصوف الذي نشرته بعض الطرق والتي فرضت نفسها على الساحة خاصة القرن 18 و19م بكل مكتف ويعود هذا الى الجمود الفكري والفراغ الثقافي السائد من جهة وغياب الحوار والإحتكاك بين الحاكم المحكوم من جهة اخرى ، بحيث لم يجمع بينهما سوى استخلاص الضرائب مما أدى إلى تعميق الهوى بينهما.

-ساهمت هذه الطرق في الدفاع عن البلاد أثناء التواجد الإ سباني وتعبئة الناس للجهاد ، إضافة إلى دورها الروحي والتعليمي الذي جعل من علمائها وشيوخها رؤساء روحين للسكان الذين كانوايسرون وفق أوامهم.

-لقد دلت الثوراث التي قام شيوخ الزاوايا ضد السلطة الحاكمة ، نتيجة السياسة الضريبية التي إنتهجها الحكام على مدا صلتها القوية بالسكان ،ورفضها للطلم والتعسف على هذه الفئة الضعيفة.

-إهتمت السلطة الحاكمة برجال الدين على أساس تبادل المصالح والوساطة وإحلال الأمن لبسط سلطتهم على السكان و لم يعطوا أهمية للنشر الثقافة إلا في بعض الحالات الإستتنائية.

-عملت الطرق الصوفية في هذه الفترة على ترسيخ وتعميق الفكر الغيبي مقابل التفكير العقلي فهي أحد مقاومات الأمة الجزائرية

وعليه فقد أثرث هذه الطرق تأتيرا إيجابيا على المجتمع الجزائري من خلال إزالتها للفوارق الطبقية بين فئات المجتمع حيث قربت بين طبقات المجتمع من خلال تدخلاها في حل التراعات والخلافات بين فئات المجتمع, الذي وجد فيه الضمان بالحفاظ على هوية الفرد وشخصيته، من خلال إهتمامها بالتعليم وتحفيظ القرأن الكريم وحفاضها للغة العربية والثقافة الإسلامية,كما شاركت مشاركة فعالة في مقاومة السلطة,وكانت زاويا الطرق الصوفية مكان للتلقي العلم وبها مكتبة للكتب والمخطوطات والشروح والتأليفات من مختلف العلوم والفنون لذلك فقد جعلت المجتمع محصنا ومتشبعا بتعاليم والعلوم ومنه فقد كان لها بعض السلبيات منه إنتشار الدجالة والشعودة تحت إسم التصوف هذا ماساهم في إنتشار الخرافة والتخلف والإيمان بالشعودة وهذا بسبسب ضيق الأفق الفكري وعليه مهما كان الدور السلبي الذي قامت به هذه الطرق فهي تبقى أحد مقاومات الثقافة الجزائرية والعنصر الوحيد الذي حافض على هذا الارث فقد كانت بمثابة النعمة التي وجد فيه المجتمع الجزائري متنفسه وراحته من خلال وقوفها معه في المحن وهذا من خلال مساندتها في الوقوف في وجه السياسة الضربية المجحفة التي فرضها الدايات والبايات تجاه السكان في الاخير ارجو ان يكون هذا العمل انه قد بين الفكرة الاساسية للإشكالات المطروحة ويبقى هذا الموضوع من المواضيع الهامة التي أسالت الجبر ومازالت فهو من المواضيع التي مازلت تحتاج لمزيد من الاهتمام و البحث فيها وأتمنى من الله أني قدأصبت في هذا العمل المتواضع وشكرا.

# الملاحـــق

**الملحق رقم (01)**: الدايات في الجزائر: سلالة حكمت في الجزائر تحت السلطة الاسمية للعثمانيين مابين 1671-1830 م

| | الحاكـــم | فترة الحكم من | فترة الحكم حتى | حياة الحاكم من | حياة الحاكم حتى | ملاحظـات |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | دايات الجزائر | | | | | |
| 1 | حاج محمد الترك | 1671 | 1682 | | | الدايات |
| 2 | بابا حسن | 1682 | 1683 | | | قتله حسين "ميزو مورتو" |
| 3 | الحاج حسين "ميزو مورتو" | 1683 | 1688 | | 1710 | |
| 4 | إبراهيم خوجا | 1688 | 1688 | | | خلع |
| 5 | حاج شعبان | 1688 | 1695 | | 1695 | قتل |
| 6 | حاج أحمد | 1695 | 1698 | | | |
| 7 | حسن شاوش | 1698 | 1699 | | | |
| 8 | علي | 1699 | 1700 | | | |
| 9 | حاج مصطفى | 1700 | 1705 | | 1705 | قتلته الإنكشارية |
| 10 | حسين خوجا | 1705 | 1706 | | | |
| 11 | محمد بقطاش | 1707 | 1710 | | 1710 | قتلته العامة |
| 12 | دالي إبراهيم | 1710 | 1710 | | | |
| 13 | علي شاوش | 1710 | 1718 | | | |
| 14 | محمد بن حسن | 1718 | 1724 | | 1724 | قتل |
| 15 | كرد عبدي | 1724 | 1731 | | 1732 | مات عن 88 عاماً |
| 16 | إبراهيم | 1731 | 1745 | | | إستقال |
| 17 | إبراهيم كوتشك | 1745 | 1748 | | 1748 | مات مسموماً |
| 18 | محمد بن بكار | 1748 | 1754 | | 1754 | قتلته الإنكشارية |
| 19 | بابا علي "بو اصبع" | 1754 | 1766 | | 1766 | مات مسموماً |
| 20 | محمد بن عثمان | 1766 | 1791 | | | مات بالشيخوخة |
| 21 | حسن | 1791 | 1798 | | 1798 | مات بعد مرض عضال |
| 22 | مصطفى | 1798 | 1805 | | 1805 | مات بعد أن قطع لسانه |
| 23 | أحمد باي | 1805 | 1808 | | 1808 | قتلته الإنكشارية |
| 24 | علي "الغسال" | 1808 | 1809 | | 1815 | قتل |
| 25 | حاج علي باشا | 1809 | 1815 | | | |
| 26 | محمد الخزناجي | 1815 | 1815 | | | حكم مدة شهر واحد |
| 27 | عمر آغا | 1815 | 1817 | | | |
| 28 | علي بن أحمد "علي خوجا" | 1817 | 1818 | | 1818 | مات بالطاعون |
| 29 | حسين بن حسين | 1818 | 1830 | 1773 | 1838 | في الـ5 من يوليو 1830 م يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على مدينة الجزائر، لتبدأ معها مرحلة الإحتلال |

**أنظر: http://www.hukam.net/family.php?fam=54**

**الملحق رقم (02)**: مسجد كتشاوة بناه بابا حسن عام 1794م.

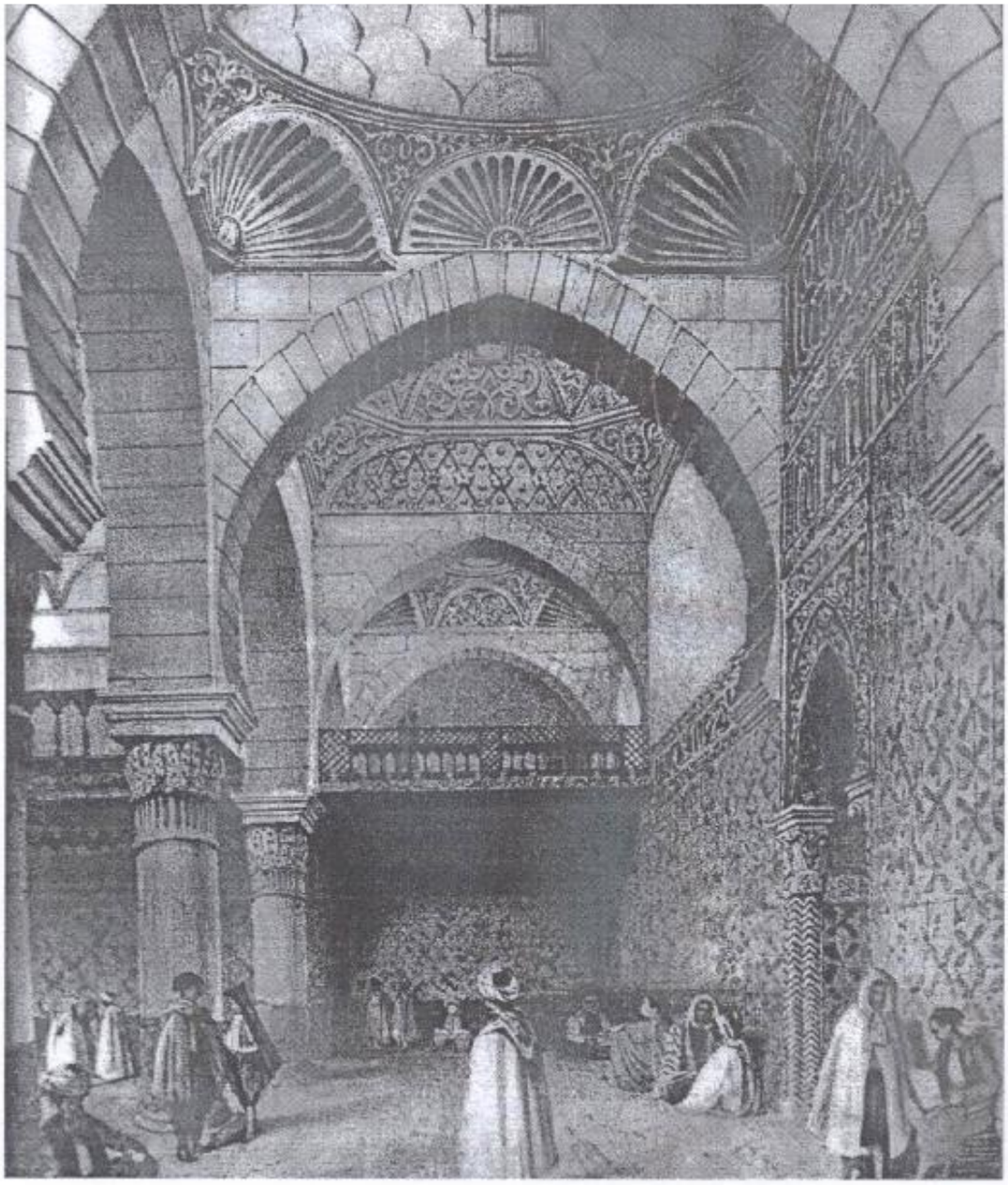

بشير ملاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م**، دار المعرفة، ج1، الجزائر، 2006م، ص39.

**الملحق رقم (03)**: خريطة التقسيم الإداري للجزائر في العهد العثماني

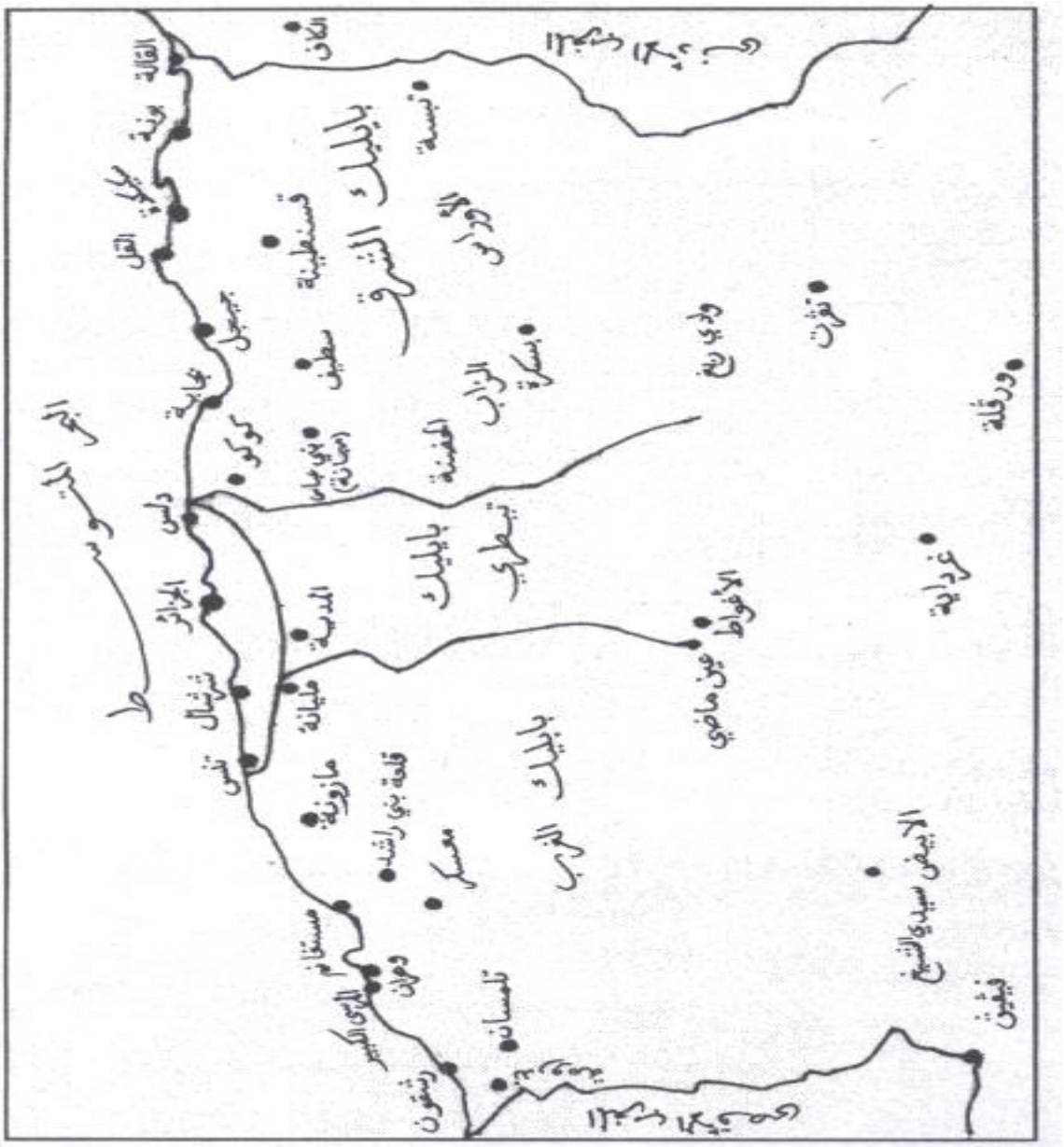


بشير ملاح، مرجع سابق، ج1، ص20.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر:


1. القرآن الكريم.
2. إبن خلدون عبد الرحمن ، **"المقدمة"**، دار الفكر، ط1، بيروت، 2004.
3. ابن سحنون أحمد علي الراشدي ، **التغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني** ، تح وتق/ البوعبدلي، مطبعة البعش، قسنطينة، 1973.
4. ابن منظور محمد ، **"لسان العرب"**، دار صادر، بيروت1995.
5. ابن هطال أحمد التلمساني ، **رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي** ، تحك محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، ط1، القاهرة،1969.
6. برادة علي حرازم، **جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني** ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
7. بن عبد القادر محمد الجزائري ، **تحفة الزائرفي تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، شر وتع: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1964.
8. بن ميمون الجزائري محمد ، **"التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية"**، تقديم، تح: محمد بن عبد الكريم، س.و.ن.ت، الجزائر، 1972.
9. الجبرتي عبد الرحمن ، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997،.
10. خوجة حمدان بن عثمان ، **"المرآة"**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، ط 2، ش و ن ت، الجزائر، 1982.
11. الرازي محمد بن بكر ، **"مختار الصحاح"** ، تح: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، 1995، طبعة جديدة، ج1.
12. الزهار الحاج أحمد الشريف،" مذكرات"، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش .و.ن.ت .الجزائر،1972 .
13. الزياني محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت، ط1، ط1، الجزائر، 1979.
14. سكيرج أحمد، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب** المكتبة المغربية، ط1، المغرب،1964.

15. السلاوي أبو العباس الناصري، الإستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، تح وتع:ولدي المؤلف جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، ط1، الدار الميناء، المغرب،1956.
16. شالر وليام ، مذكرة قنصل أمريكا ( 1816-1824)، تر، تح: إسماعيل العربي ش.و.ن.ت، ط1، الجزائر، 1982.
17. العنتري محمد الصالح، **سنين القحط والمصغبة، بايات قسنطينة** ، تح وتق: رابح بونار،ش.و.ن.ت،ط1، الجزائر، 1974.
18. العنتري محمد صالح، **فريدة منسية في حال دخول الأترا ك بلد قسنطينة** ، مراجعة وتقديم وتعليق، يحي بوعزيز، د م،ط1، الجزائر، **1991.**
19. الكلابادي أبو بكر محمد ، **"التعرف بالمذهب أهل التصوف"** ، تح: محمد أمين السوادي، مكتبة الأزهرية، ط2، القاهرة، 1980.
20. مجهول، **تاريخ بايات قسنطينة** ، تح: حساني مختار، منشورات دحلب، ط 1، الجزائر **1999.**
**21**.المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار مدينة وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1990 ج2.

**قائمة المراجع العربية:**

1 - احميدة عميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، (د.ت).
2 - احميدة عميراوي، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث** ، ط3، دار الهدى، عين ملية الجزائر، 2004.
3 - بلغيث محمد الأمين، **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي** ، أنتير سبيني ط1، الجزائر، 2007.
4 بشير ملاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م**، دار المعرفة، ج 1، الجزائر 2006م.

5 - بن خميسي حميد، **"نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط"**، دار الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

6 - بن شهرة المهدي، **الطرق الصوفية في الجزائر السنية** ، دار الأديب، ط 1، وهران 2004.

7 - بوعرفة عبد القادر، **"معجم الفرق والنحل في الجزائر"**، مخبر الأبعاد القيمة في الجزائر الجزائر، ط1، 2005.

8 - بوعزيز يحي، **"ثوارت الجزائر في القرنين 19-20"**، منشورات المتحف الوطني المجاهد، ط2، الجزائر،1996.

9 - بوعزيز يحي، **أعلام الفكر الثقافي في الجزائر المحروسة** ، دار الغرب الإسلامي، ط 1 بيرووت، 1995.

10 -بوعزيز يحي، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب** ، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة، الجزائر، 2004.

11 -التليلي العجيلي ، **"الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية"** منشورات كلية الآداب،منوية،1992.

12 -جابر أبو بكر الجزائري، **"إلى التصوف يا عباد الله"** ، دار البصير للنشر،ط 1 الإسكندرية، (د.ت).

13 -جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تع: مزالي محمد بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، 1978.

14 -الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام،دار الثقافة، ط1، بيروت، 1983.

15 -حقي عدنان، **الصوفية والتصوف**، دون دار الطبع، ط2، دمشق، 1982.

16 -حقي فليب وآخرون، **"تاريخ العرب"**، دار الكشاف للنشر والطباعة، ط 2،(د. م) 1965،

17 -حلمي عبد القادر، **مدينة الجزائر نشاتهاوتطورها قبل عام 1830**، مطبعة البعث اللعربية.

18 -راسي جورج، **"الإسلام الجزائري – من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات–"** دار الجديدة بيروت، 1972.

19 -رزايقة محمد الصالح ،"**أضواء على تاريخ سيدي عبد الشريف**"، دار هومة، ط1، (د. م) ، 2006.

20 -الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال ( 1972-1830)،، م.و.ك، ط2، الجزائر، 1984.

21 -الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم**، ج4، ط2، (د. ت)، (د.م).

22 -زمام نور الدين ، "**السلطة الحاكمة والخيارات التنموية بالمجتمع الجزائري 1962-1958**"، دار الكتاب، ط1، دون مكان الطبع، 2002.

23 -سبنسر وليام ، "**الجزائر في عهد رياس البحر**" ، تر،عبد القادر زبادية، ش و ن ت ط1، الجزائر، 1980.

24 -سعد الله أبو القاسم ، "**تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**"، دار البصائر،ط1 2007.

25 -سعيدوني نصر الدين ، "**دراسات في الملكية العقارية**"،م و ك، الجزائر 1984.

26 -سعيدوني نصر الدين، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية"، **مجلة الثقافة**، عدد78، 1983.

27 -سعيدوني نصر الدين، **الجزائر منطلقات وآفاق** ، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت 2000.

28 -سعيدوني نصر الدين، المهدي (البوعبدلي)، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني** ، م.و.ك ط1، الجزائر، 1984.

29 -سعيدوني نصر الدين، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة** المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1988م

30 -سليماني أحمد، **تاريخ مدينة الجزائر**، د.م.و.ج، ط1، الجزائر، 1986.

31 -الشرباطي أحمد ، "**الغزالي والتصوف الإسلامي**"، دار الهلال، (د. ط)، (د. ت)،(د.م)

32 -شهبي عبد العزيز، "**الزويا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر** "، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007.

33 -شوفالييه كورين، **الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر ( 1510-1541م)** تر: جمال حمادنة، ط1، الجزائر، 1991.

34 -الطرسي أبي نصير عبد الله، **"اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي"** ، تح، عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

35 -عبد القادر نور الدين ، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة، 1965م.

36 -العقاد صلاح، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر** ، دار النفائس، ط 1، بيروت،1986.

73 -عمار (عمورة) **بوابة التاريخ**، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

38 -عيسى عبد القادر ، **"حقائق عن التصوف"** ، المقطم للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة 2005.

39 -الغالي العربي، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، رسالة ماجستير، (غير منشورة) قسم التاريخ كلية الآداب،جامعة دمشق، 1988.

40 -فارس محمد خير، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** دار الشرق، بيروت، (د.ت).

41 -فارس محمد خير، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** دار العصر الحديث للنشر، ط1، بيروت، 1992.

42 -الفاسي أبو العباس، **"قواعد التصوف"**، تح، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمة،ط 1 بيروت، 2003.

43 -فرغلي محمد ، **"محاضرات في التصوف"**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1975.

44 -الفيلالي محمد الطاهر، **نشاة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن القرافيكي، ط1، الجزائر، 1976.

45 -قيرة إسماعيل، غربي علي، دليو فضيل، فيلالي صالح، **"مستقبل الديمقراطية في الجزائر"** مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت، يناير 2002.

46 -مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي**، دار العصر الحديث للنشر، ط1، بيروت، ج3، 1992.

47 -مؤيد العقبي صلاح، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها** ، دار البراق بيروت، 2002.

48 -مبارك بن محمد الهلالي (الميلي) ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت) ج3.

49 -محروس إسماعيل حلمي ، **"تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى"**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.

50 -المدني أحمد توفيق، **محمد عثمان باشا داي الجزائر ( 1766-1791م)**، م. و.ك،ط1، الجزائر، 1986.

51 -مريوش أحمد، **"الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني"** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007.

52 -مفتاح عبد الباقي، **أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه** . (د.ط) (د.ت.ط)،(د.م).

53 -مياسي إبراهيم، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر** ، ديوان المطبوعات الجامعية،، ط 2 الجزائر، 2007.

54 -الميلي شريط عبد الله، محمد المبارك، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**،م.و.ك، ط1، الجزائر، 1985.

55 -هلال عمار ، **الطرق الصوفية ونشر الإشلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، ط1، وزارة الثقافة الجزائرية، 2007.

56 -هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ( 1830-1862م) (د.م.ج)، ط1، الجزائر، 1995.

57 -هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلة، ط 1 الجزائر، 2008.

**المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:**

1. De GRAMMONT, Henri**, Histaire D'Algérie sous le domination Turque (1515-1830)**, E leraux,Paris, 1887.
2. FILALI, Kamel, "Saintété **marapoutique et nysticiane, canti*riputain à l'etule du naurement maraboutque en Algérie soun la doninationattanane"** in isanyyat n°3, 1997
3. LIAREL, Jules, **kadylie du jurjura, eleraux**, Paris, 1892.

4. Octave Depont, Xavier Coppolani, Les confréries religieuses musulmanes, Alger 1897.
5. Soudaun Nacer-edine**, l'lgéraus rual a la fin de lépoque attamant (1791-1830),** dar-el-ghard elislami, beyrouth, 2001.
6. TURIN(Y), **Affranteurents culturels dansl'Algérie coloniale (1830-1880),** F.Mospera- Paris, 1971.
7. VATIN, Jean-Cloude,**A'Lgérie potitique Etsociété**, Arno colin, Paris, 1974.

**المقالات والمجلات العربية:**

1 – بعدراني إحسان، مقال ألفا، بالملتقى الدولي للإخواني التيجانيين"، **منهج الطريقة التيجاني في التربية**، الأغواط، 2006.

2 – بوعزي يحي، "**أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و20**"، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، ع7، 2005.

3 – التميمي عبد الجليل، " **العرب والأتراك في إطار الدولة العثمانية**" ، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد17،18، 1980.

4 – خالدي هشام، "**التصوف ومنزلته من الفكر الإسلامي قراءة في مذاهب الصوفية**" حوليات التراث، (د.ع)، مستغانم، 2004.

5 – داود فاطمة ، "**التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله**"، حوليات الثرات، ع1، مستغانم 2004.

6 – الزواوي أبو يعلي، "**التصوف**"، مجلة البصائر ، 14فيفري، 1936، العدد7.

7 – عبد القادر عثمان، "**الزوايا والتعليم القرآني والدين بها**"، مجلة الدراسات الإسلامية الجزائر، ، ع2،2009.

8 – عبد القادر محمد مصطفى، الطريقة الشاذلية، الموقع الإلكتروني: http://www.alsoufia، بتاريخ: 2013 /04/24

9 – عميراوي أحميدة، "**القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية** "، مجلة المصادر ، الجزائر 2003.

10 –العيد مسعود، **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني** ، مجلة سيرتا، العدد 03 1960، قسنطينة..

11 -الغالي العربي،"**الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك**"، **مجلة درسات تاريخية**، العدد23، 26،1986.

1 -فرق ومذاهب الطريقة الشاذلية، مجلة الراصد، ع 42، ذي الحجة 1427هـ، الموقع الإلكتروني: http://www.alrased.nrt ، بتاريخ: 2013/04/24.

2 -القاسمي عبد المنعم الحسني، "**عن التصوف والصوفية بالجزائر**"، موقع الشهاب للإعلام

12 -قداش محفوظ، "الجزائر في العهد التركي"، **مجلة الأصالة**، العدد 52، 1977م.

13 -القشاعي موساوي فلة ، "**وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق إنتقاله**"، مجلة دراسات إنسانية ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، عدد 1 2001.

14 -الميلي مبارك بن محمد الهلالي، **التعليم الديني بالجزائر وحفظ الزوايا منه**، مجلة الشهاب، العدد13 فيفري 1926.

15 -نعمان صالح، "**أصالة التصوف الإسلامي وأهميته في الحياة المعاصرة**" ، مجلة معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الاولى، العدد الأول، ديسمبر 1998م.

16 -وصيف خالد إبراهيم، مقال ألقاه بالملتقى الدولي للإخوان التيجانيين، " **نشأة الطريقة التيجانية وتطورها**"،الأغواط، 2006.

**الموسوعات:**

1 - بن بريكة محمد البوزيدي الحسني ، **موسوعة الطرق الصوفية–الطريقة القادرية–** ج3،الحكمة،الجزائر،2007.

2 - بن بريكة محمد، "**موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية**" ، دار المتون، الجزائر، ط 1 2007.

3 - الحنفي عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي**، القاهرة، 2003.

4 - الحنفي عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية (أعلام التصوف، المفكرين والطرق الصوفية)** دار الرشاد العربية للطباعة والنشر، مصر، 1992.

# فهرس الموضوعات


العنوان الصفحة

شكر و عرفان

الاهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ-هـ

الفصل التمهيدي: أوضاع الجزائر خلال عهد الدايات ومفاهيم حول التصوف

المبحث الأول: الأوضاع العامة للجزائر خلال عهد الدايات..... 07

1- الأوضاع السياسية والإدارية. ..... 07

2- الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية..... 8

المبحث الثاني: مفاهيم عامة عن التصوف..... 13

-مفهوم التصوف..... 13

-مفهوم الطريقة الصوفية..... 24

الفصل الأول: نشأة التصوف وظهوره بالجزائر

تمهيد ..... 32

المبحث الأول: نشأته وتطوره ..... 33

1 - نشأته بالجزائر ..... 33

2 - تطوره وانتشاره بالجزائر ..... 34

المبحث الثاني: مؤسساته بالجزائر..... 36

1 - المساجد والزوايا..... 36

أولاً: المساجد..... 36

ثانياً: الزوايا..... 37

2 - المدارس العلمية والمكتبات..... 40

أولاً: المدارس العلمية..... 40

ثانياً: المكتبات..... 43

3 – الأوقاف..... 46
الفصل الثاني: أهم الطرق الصوفية خلال عهد الدايات.
تمهيد..... 49
المبحث الأول: الطريقة القادرية..... 50
1 – التعريف بمؤسسها..... 50
2 –تعاليمها ومبادؤها..... 52
3 –ظهورها بالجزائر..... 53
المبحث الثاني: الطريقة الشاذلية..... 55
1 – التعريف بمؤسسها..... 55
2 – تعاليمها ومبادؤها..... 56
3 – ظهورها بالجزائر..... 59
المبحث الثالث: الطريقة التيجانية..... 61
1 –التعريف بمؤسسها..... 61
2 –تعاليمها ومبادؤها..... 64
3 –ظهورها بالجزائر..... 66
الفصل الثالث: تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال عهد الدايات
تمهيد 69
المبحث الأول: التأثير السياسي..... 70
1 – الطرق وعلاقتها بالمجتمع الجزائري..... 70
أولاً: علاقة الطرق الصوفية بالمجتمع الجزائري..... 70
ثانياً: علاقة الطرق بالأتراك..... 72
ثالثاً: علاقة المجتمع بالأتراك (السلطة الحاكمة)..... 77
2 –موقف الطرق الصوفية من الدايات..... 79
أولاً: ثورة درقاوة الشرق الجزائري (1804م)..... 80
ثانياً: الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري..... 81

**ثالثاً: الثورة التيجانية بالجنوب**..... 84
**المبحث الثاني: التأثير الاجتماعي للطرق الصوفية**..... 88
**1 – التأثير الإيجابي**..... 88
**2 – التأثير السلبي**..... 90
**المبحث الثالث: التأثير الديني والثقافي للطرق الصوفية على المجتمع الجزائري**..... 92
**1 – التأثير على المجتمع الجزائري**..... 92
**2 – التأثير على الأتراك**..... 94
الخاتمة ..... 98
الملاحق ..... 101
قائمة المصادر والمراجع ..... 105
فهرس الموضوعات ..... 113

**الملخص:**

**العنوان: الطرق الصوفية وتأثيرها على المجتمع الجزائري خلال عهد الدايات (1671– 1830م)**

من خلال دراستي للظاهرة التصوف والطرق الصوفية في الجزائر خلال فترة حكم الدايات وتأثيرها على المجتمع توصلت إلى مجموعةمن الإستنتاجات والنتائج الهامةوالتي يمكن حصرهافي النقاط التالية:

-شيوع الروح الصوفية وتحكمها في توجيه المجتمع الجزائري مما دفع السلطة الحاكمة تعمل على كسب ود مشائخ هده الطرق وجعلها تحت تصرفهم.

-تعلق السكان بالسلطة الروحية المثمتلة في مشائخ الصوفية خاصة في الريف الجزائري الدي كان معظمهم ينتمي إلى طريقة ما

-إهتمام الأتراك بالأولياء والصالحين والأشراف على بناء الأضرحة والزوايا والقبب وذلك بصرف أموال ضخمة في سبيل ذلك مماساعد على انتشار الطرقية فلم تعد مدينة او قريةالا وبها زاوية وضريح.

-إن الحياة الثقافية كان يغلب عليها طابع التصوف الذي نشرته بعض الطرق والتي فرضت نفسها على الساحة خاصة القرن 18 و19م بكل مكتف ويعود هذا الى الجمود الفكري والفراغ الثقافي السائد من جهة وغياب الحوار والإحتكاك بين الحاكم المحكوم من جهة اخرى ، بحيث لم يجمع بينهما سوى استخلاص الضرائب مما أدى إلى تعميق الهوى بينهما.

-ساهمت هذه الطرق في الدفاع عن البلاد أثناء التواجد الإ سباني وتعبئة الناس للجهاد ، إضافة إلى دورها الروحي والتعليمي الذي جعل من علمائها وشيوخها رؤساء روحين للسكان الذين كانوايسرون وفق أوامهم.

-لقد دلت الثورات التي قام شيوخ الزاوايا ضد السلطة الحاكمة ، نتيجة السياسة الضريبية التي إنتهجها الحكام على مدا صلتها القوية بالسكان ،ورفضها للظلم والتعسف على هذه الفئة الضعيفة.

-إهتمت السلطة الحاكمة برجال الدين على أساس تبادل المصالح والوساطة وإحلال الأمن لبسط سلطتهم على السكان و لم يعطوا أهمية للنشر الثقافة إلا في بعض الحالات الإستتنائية.

-عملت الطرق الصوفية في هذه الفترة على ترسيخ وتعميق الفكر الغيبي مقابل التفكير العقلي فهي أحد مقاومات الأمة الجزائرية.

# Résumé :

## Titre : les ordres des SAUFIA et leurs effets sur la société Algérienne pendant la période de DEYETTE (1671- 1830)

D'après ma études pour la phénomène de TSAWOF et les ordres des SAUFIA en Algérie durant la périodes de DEYETT et leurs effet sur la société Algérienne, nous avons constaté des ensembles des résultats comme le suivant :

- les savants de l'esprit SAUFI et leurs rôles dans l'orientation de la société algérienne qui oblige le gouvernement de travaillé avec lui .
- suspendre les habita avec le savant surtout à la campagne Algériennes
- attention des Turc par les saints pour la construction des le sanctuaire, les temple et les ZAWIA qui participe a la publication de la phénomène de Saufia

la vie culturelle a été dominé par la nature de mysticisme qui a publié quelque –uns des moyens que s'est impose sur la scène spécialement en 18 et 19 éme siècle tout suffisant ; cela est du à la stagnation intellectuelle et vide culturelle prévalant d'une part et l'absence de dialogue et de friction entre la décision condamné ; autres part , nous n'avant donc pas collecter les dessiner seulement taxes menant à approfondir leur fantasie .

- Ces routes ont contribué à la défense du pays au cours de la présence espagnole et mobiliser les gens pour le djihad, en plus du rôle spirituel et éducatif qui a fait les savants et les anciens chefs âmes de la population Kanwaeeroon la Oamanm selon.

- Althorat a montré qu'il anciens Alzawaya contre le pouvoir en place, en raison de la politique fiscale menée par les dirigeants d'une forte marée peuplée de pertinence, et le rejet de TALM et arbitraire de ce groupe vulnérable.
- Axé sur le pouvoir des mollahs au pouvoir sur la base d'intérêts mutuels, de médiation et apporter la sécurité à étendre leur pouvoir sur la population et ne pas donner de l'importance à la diffusion de la culture que dans certains cas Alasttnaúah.
- Sufi travaillé durant cette période pour consolider et approfondir la pensée métaphysique de la pensée mentale dont ils sont l'une des résistances de nation algérienne